



ميرنا المهدي

قضية

سنت

الحسن

تحقيقات نوح الألفي



ميرنا المهدي

قضية

ست

رواية

الحسن

تحقيقات نوح الألفي







الكرمة

alkarmabooks.com

facebook.com/alkarmabooks

twitter.com/alkarmabooks

instagram.com/alkarmabooks

حقوق النشر © دار الكرمة ٢٠٢٢

© ميرنا المهدي ٢٠١٨، ٢٠٢٢

الحقوق الفكرية للمؤلفة محفوظة

تتمسك الكرمة بحقوق الملكية الفكرية، فاحترام الملكية الفكرية يدعم الإبداع ويعزز الإنتاج الثقافي.

نشكركم لشراكتكم نسخة أصلية من هذا الكتاب، ولامتناعكم عن استخدام أو إعادة طباعة أي جزء منه بأي طريقة من دون الحصول على موافقة خطية من الناشر، لأنكم بذلك تدعمون المؤلفين وتسمحون للكرمة بالاستمرار في نشر الكتب التي تعجبكم.

هذا عمل أدبي خيالي. جميع الأسماء والشخصيات والأماكن والأحداث الواردة فيه هي من نسج خيال المؤلف، أو مستخدمة بشكل فني خيالي، ويجب عدم تفسيرها على أنها حقيقية. وأي تشابه مع أحداث أو أماكن أو منظمات فعلية أو أشخاص، أحياء أو أموات، فهو من قبيل المصادفة.

المهدي، ميرنا.

قضية ست الحسن (تحقيقات نوح الألفي - ١): رواية / ميرنا المهدي - القاهرة: الكرمة للنشر، ٢٠٢٢.

٣٠٤ ص؛ ٢٠ سم.

تتمك: 9789776743861

١- القصص العربية.

أ - العنوان.

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ١٦٥٤ / ٢٠٢٢

٢٤٦٨١٠٩٧٥٣١

تصميم الغلاف: أحمد عاطف مجاهد





جميع الحقوق محفوظة لدا: مكتبة ضاد، الإلكترونية. ©

تمّ تجهيز هذه النسخة بواسطة:

أشرف غالب.

تأكد من أنك تقرأ هذه الرواية من قناة ضاد الرسمية على  
تطبيق تيليجرام:

تمّ تجهيز هذا الكتاب الإلكتروني  
بواسطة:

**مكتبة ضاد**  
t.me/twinkling4

لجميع الكتب، المجانية والمدفوعة،  
وكل ما تشتميه قريحتك الثقافية.





## إهداء

إلى أمي التي أمسكت يدي وعبرت بي الطريق.

وإلى مايا شقيقة روعي ورفيقة دربي.

وإلى كل من علّمني حرفاً، وكل من أحبطني يوماً.

ليس كل ما هو حقيقي منطقيًا،

وليس كل ما هو منطقي حقيقيًا.





# القضية الأولى

## الفتيل

١

سأخبرك ثلاث حقائق عن نفسي:

أولها أنني أدعى «نوح».

والثانية أنني أصبحت ضابطاً في المباحث الجنائية تأثراً  
بالمحقق كونان.

أما الثالثة، حسناً، فسأعلمك بها في الوقت المناسب.

\* \* \*

بحلول الساعة الخامسة صباحاً، بدأت أثناءب وأفرك عيني  
في محاولة يائسة لصرف شبح النوم الذي تسلل إليّ، حتى  
دخل قطز المكتب، بقامته الطويلة وشعره الكثيف وأنفه البارز  
وقميصه الأبيض الذي لا يعرف له الغبار طريقاً.

اقترب من مكثبي بضجته المعهودة، متلهفاً للانقضاء على  
الفطور الساخن الذي فاحت رائحته من الأكياس البلاستيكية  
المتخمة بالخبز، والمخللات، والفاول، والطعمية المتكومة في  
أوراق مشبعة بزيت لا يعلم مصدره سوى الخالق.

نحيت الملفات والدفاتر جانباً، ثم نشرت صفحة من جريدة  
الأمس على المكتب لتبقى عازلاً بين أي بقع تُخلفها مجزرتنا  
الصباحية والخشب الداكن، وأنا أقول متمللاً:





- سنة عشان تجيب الفطار يا قطز؟! -

فك الأكياس، وبدأ رصها بعناية، وأجابني من دون أن يرفع عينيه عن الطعمية:

- الرائد زفت عطلني!

- صلاح؟

- هو فيه غيره!

انكب على الطعام، وطارت أصابعه بين الأكياس كالصقر، ملتقطاً قطعة من هنا وأخرى من هناك، بينما ركزت أنا على الفول بالكمون والليمون، إلى أن مر الفرّاش المُسن في الطريقة، فناداه قطز بحماس:

- عم حمدي، الكاكاو بتاعي والنبوي.

- عيوني يا باشا.

أكمل الفرّاش طريقه محيياً باقي الضباط المتوافدين على القسم والمتجهين إلى مكاتبهم، بينما قلت:

- كفاية كاكاو بقى!

- مش إنت وأبويا عليّ! كلكم باصينلي في كوباية الكاكاو!

دخل الفرّاش واضعاً الكاكاو والماء، فالتقط قطز الكوب قائلاً:

- الله ينور!





- بالهنا والشفاء يا باشوات. أي خدمة تانية؟

- شكرًا يا عم حمدي.

مع رحيل الفرّاش دخل الرائد صلاح الشُّبكي، برائحة عطره الرخيص، وقميصه الفاقع لونه، وينطلونه القماشي الذي ورثه عن أجداده، وشاربه الذي انتهت صيحته بانتهاء الثورة العرابية. وقف عند الباب قائلاً بصوته المبحوح من المعسل المغشوش:

- الباشوات متزفلطين في الفول والطعمية وسايبين الناس تتدبح في الشارع!

أكملت طعامي ولم ألتفت إليه، لكن قطز أجابه معترضًا:

- ناس مين؟! إحنا مرزوعين طول الليل وما جالناش بلاغ واحد!

- أومال إيه البت اللي اتقتلت في ميدان طلعت حرب دي؟!!

أخيرًا انتبهت إليه كي أسأله ببرود:

- بت مين؟

- اتفضلوا قدامي وإحنا نعرف بت مين.

أكمل قطز طعامه قائلاً:

- رُوح إنت، إحنا نبطشيتنا خلصت.

عقد ذراعيه القصيرتين، وقال بإيقاع سريع:

- المادة ٤١ من القانون ١٠٩ تنص على أنه يجوز تكليف





الضابط بالعمل في غير أوقات العمل الرسمية، علاوة على الأوقات الرسمية، إذا اقتضت مصلحة العمل ذلك. طبعًا، ما سيادتك ابن اللوا وداخلها كوسة، لا ذاكرت ولا مققت عينيك في الكتب، جاي تاكل طعمية وتشرب كاكاو! أخذ قطز نفسًا عميقًا محاولًا أن يتمالك أعصابه، ثم همس لي قائلاً:

- هاضربه في شنبه!

نفضت يدي قائلاً:

- اتكى ع الصبر.

\* \* \*

يُمكن أن تعرف الكثير عن القاتل من خلال الطريقة التي اختارها لقتل ضحيته، فمثلاً:

مَنْ يستخدم الرصاص، فهو صاحب شخصية درامية مغرورة، وغالبًا ضحيته ابتزته أو استفزته.

من يستخدم الخنق، فهو شخص يحمل الكثير من الضغينة والاستياء المتراكم تجاه ضحيته، وفي الأغلب دافعه هو الانتقام، وفي معظم الأحيان يندم لاحقًا على فعلته.

بينما من يختار السم، هو شخص جبان، لكنه ذكي ولا يقوى على مواجهة ضحيته.

أما أسوأ نوع من القتل، فهو الذي يختار الذبح!





أشعر بالإهانة الشديدة عند رؤية شخص منحور كالمواشي،  
كما حدث لهذه الشابة!

كانت جثتها في وضع الجلوس في المقعد الأمامي لسيارتها  
خلف المقود، وقد تجلطت الدماء حول عنقها الرفيعة،  
ومال رأسها إلى اليمين، وارتخت يداها بجوارها، وعيناها  
الخضراوان مفتوحتان خلف نظارتها الكبيرة، وشعرها البني  
معقوص إلى أعلى، وتبدو على ملامح وجهها علامات  
الصدمة.

لقد باغتها القاتل وذبحها من المقعد الخلفي، لكن يبدو أنه  
كان متعجلاً، فقد خرج وترك بابها مفتوحاً، كما أنه لم يتم الذبح  
إلى آخره، فالجرح يبدأ عند شريانها السباتي يساراً ثم يتوقف  
بعد منتصف العنق بقليل.

جرح غير مكتمل، لكنه كان كفيلاً بإنهاء حياتها!

وقفت أتفحص منظر الجثة داخل السيارة الحمراء، وأنا  
أداعب تلك الليمونة - التي أحتفظ بها عادةً في جيبى -  
وأحركها بين أصابعي متخيلاً مشهد الجريمة، بينما انشغل  
قطر بتأمل البنايات الأثرية المحيطة بميدان طلعت حرب،  
وخاصة عمارة جروبي.

أما صلاح فقد بصق على الأرض بصورة مقززة، ثم حك أذنه  
بظفر إصبعه الصغيرة الذي يطيله، ثم تكلم مع عسكري المرور  
بتعالٍ:

- ها يا ابني، مين اللي شاف القتيلة؟





- أنا لا مؤاخذة، استلمت النبطشية الساعة خمسة، ولاقيت باب عربية القتيلة، لا مؤاخذة، مفتوح، وفضل يبجي ساعة على ديك الحال، ولما قرّبت عشان أشوفه، لا مؤاخذة، مفتوح ليه، لاقيت البت مدبوحة جوه العربية.

علا صوت صلاح بلا داع:

- وإنت إزاي ما أخذتشر بالك إن البنت مقتولة من الأول يا ابني؟!!

- ما إزاز العربية، لا مؤاخذة، مفيم، أشوف إزاي؟!!

- إنت هتتفدك بروح أمك؟!!

أعلم أن العسكري لعن أجداد صلاح في سره، لكنه وقف جانبًا ملتزمًا الصمت، بينما لم يُنزل قطز عينيه عن عمارة جروبي واضعًا يديه على خصره، فسألته بفضول:

- فيه حاجة لفتت نظرك في العمارة؟

- تعرف إن العمارة دي اتبنت سنة ١٩٢٤؟!!

تطلّعت بنظري إلى العمارة الكلاسيكية ذات اللون الرملي، والنوافذ الخشبية الخضراء، والشرفات الواسعة، وأعمدة الإضاءة الباريسية المحيطة بها، ومقهى جروبي المغلق بواجهته ذات الفسيفساء الزرقاء.

ظل قطز ينظر إلى العمارة بتعظيم وهيبة، وأكمل مشيرًا إلى المقهى:

- في تمانينات القرن التسعناشر، ياكومو جروبي جه مصر مع



ابنه، وفتحوا الكافية ده على الطراز الفرنساوي عشان...  
- سؤال بس، إيه دخل تاريخ العمارة بالبنت المدبوحة في  
العربية؟

التفت إليّ قائلاً بضجر:

- ما صلاح بيعصر العسكري أسئلة، وإنت عمال تلف حوالين  
العربية زي النحلة، قلت أبص على العمائر العريقة اللي  
الزحمة بتلهينا عنها.

\*\*\*

قطز واحد من الكثيرين الذين أجبرهم أهلهم على اختيار  
وظيفة تخالف طموحاتهم، فهو ابن اللواء أنور المحمدي،  
ووالدته ميس نجوى علوي مُعلّمة التاريخ بمدرسة بورسعيد  
الدولية التي تخرج كلانا منها.

وبينما كنت أطمح أن أصبح ضابطاً مثل والدي الذي استشهد  
وأنا في العاشرة من عمري، قرر قطز أن يصير زاهي حواس  
الثاني، بعد أن سقته أمه عشقها للتاريخ، والذي تجلى في  
اختيارها لاسمه «قطز»!

أعجب سيادة اللواء بهذا الاسم المنتقى، وتخيل ابنه قائداً  
وزعيماً مثل سيف الدين قطز الذي حرّر مصر من التتار. وعاش  
قطز بين سخرية الطلاب وتهكمهم، لكنه كان يقول إن كل  
العظماء يحملون أسماءً تدعو إلى السخرية!

وهكذا، ظل قطز يحلم باليوم الذي يكتشف فيه مقبرة



عظيمة كإنديانا جونز في أفلامه، وإذ بالأمر ينتهي به طالبًا في أكاديمية الشرطة، منصاعًا إلى تسلُّط أبيه الذي حرمه من طموحه لكنه لم ينزع عشق التاريخ من قلبه.

على الرغم من أن قطز أصبح ضابطًا بالإكراه، فإنه تفوَّق في الأكاديمية. وهكذا هو دائمًا، يجيد في أي مجال يدخله، ويتقن عمله وبؤديه على أكمل وجه حتى إن لم يحبه. هو شخصية لن تجد للإهمال أو الاستسلام أثرًا في قاموسها.

\* \* \*

قُلْتُ زافراً:

- وحياة أبوك يا قطز، ركِّز عشان نخلص من صلاح!

التفت صلاح إلينا قائلاً بنبرته التهكمية اللعينة:

- ها يا عسل منك له؟ تفتكروا مين اللي عملها؟

أعلم جيدًا أن صلاح لم يجلبنا معه حتى نشهد على الجريمة ونتعلم من عبقريته وعقليته اللامعة، فالأبله بالكاد يقوى على تخمين من سرق ساندويتش الفول من فوق مكتبه؛ لقد أحضرنا إلى مسرح الجريمة كي نقوم بعمله ونعطيه استنتاجاتنا وأفكارنا.

لقد اعتاد التسلُّق على أكتاف من هم أقل منه رتبة، ويكفيك أن تعاشر ذلك الوغد أيامًا لتعرف أن مبدأه في الحياة هو: «إن جالك الطوفان حط ابنك تحت رجلك». لكني أذكى من أن أحل واجبات غيري، بعكس قطز الساذج الذي أجابه مندفعًا



كالطالب النجيب:

- معظم اللي بيختاروا طريقة الدبح بيكونوا جراحين أو جزّارين أو قتلة مأجورين. وأنا بارجح إن حد غني دفع فلوس لمجرم عشان يخلص من حد مضايقه. لأن مفيش إنسان عادي يعمل جريمة زي دي في العلن وسط ميدان طل... .

قاطع صلاح بضحكة ساخرة جعلتني أرغب في لكمة بشكل متكرر حتى أسقط عنه أسنانه الصفراء:

- بالعكس، ده مكان مناسب جدًّا. الدنيا ضلّمة وهس هس، والعسكري نايم على روحه، وعربية مفيّمة. دخل دبح وخرج ومحدث خد باله. السؤال هنا بقى يا مبتدئ منك له: ليه الهانم المحترمة كانت في عربيتها المفيّمة في نص الليل تحت بيت مش بيتها؟ بواب العمارة بيقول إن دي أول مرّة يشوفها، وإنها جت على المغرب وطلعت العمارة، وهو دخل ينام على نص الليل وكانت عربيتها لسه راكنة. كانت بتعمل إيه الهانم كل الوقت ده وبعدين نزلت بعد نص الليل؟

وجهت إليه الحديث لأول مرّة، سائلًا إياه ببرود:

- إنت رأيك إيه؟

ثبّت نظارة الشمس المضروبة على أرنبه أنفه، وقال بفخر لا يليق بهيئته:

- رأيي إنكم هواة! لو خدت بالك يا مبتدئ، هتلاقي إن العمارة فيها بنسيون في الدور الثالث. أكيد الهانم طلعت لعشيقها وقضت معاه ليلة ظريفة ما خلصتش غير بعد نص





الليل، جه بقى عيل مرّق من بتوع سرقة السيارات وثبتها  
عشان يسرق العربية الغالية الحلوة دي، فقاومته ورقعت  
بالصوت، قام دبها وجري. أنا هالم كل العيال المسجلين وأنفخ  
أمهم لحد ما يعترفوا.

لم أَر تحليلًا أفضل من هذا!

ذاك الأحمق الذي يظننا هواة، لم ينتبه إلى حقيبة الظهر  
الملقاة على المقعد الأمامي للسيارة، والتي يبرز من سحابها  
الجانبى طرف مسطرة هندسية كبيرة، ولا يحتاج الأمر أن  
تكون شارلوك هولمز عصرك لتستنتج أن القتيلة طالبة بكلية  
الهندسة، ربما أتت إلى منزل صديقتها لتذاكرا معًا طوال  
الليل، ثم حدث أمر ما جعلها ترحل.

لا أعلم ماهية السبب الذي دفعها للرحيل، ولا يهمني  
معرفته، لكن ما لا شك فيه أن القاتل لم يكن غرضه السرقة،  
لأنه اختار المقعد الخلفي وراء قائد السيارة مباشرة، مما  
يعني أنه يقصد الفتاة، ولو كان يقصد الحصول على السيارة  
تحت التهديد، لاختار المقعد الأمامي بجوارها أو لقتلها خارج  
السيارة لتسهل عملية التخلص من جثتها وقيادة السيارة فرارًا،  
خاصة أن المفتاح بالكونتاكت وأن الضحية ضعيفة البنية ومن  
السهل تهديدها أو ضربها أو التخلص منها بأي طريقة غير  
الذبح.

المجرم لم يرغب في فعل أي شيء سوى قتلها.

أُعيد نظرية قطز جزئيًا؛ أن الفاعل قاتل مأجور. ولكن ما الذي



يجعل طالبة جامعية ترتدي «كروكس» أحمر وكنزة مرسوماً عليها «ميكي ماوس» مصدرَ خطرٍ لأحدهم حتى يدفع لقاتل مأجور لينهي حياتها بهذه الطريقة الشنيعة؟!!

قاطع قطز تدفق أفكاره قائلًا بحماس:

- ما أظن إن الغرض هو السرقة، اللي قتلها كان راصدها من ساعة ما طلعت العمارة، وأول ما نزلت هووووب، دبحها. أقولك؟ ممكن تبقى مثلاً مرتبطة بواحد غني أوي وأهله حابين يجوزوه لواحدة غنية زيه أو لبنت من قرابيه، بس هو رافض عشان بيحب القتيلة وتمسك بيها، فالعيلة قالت تخلص منها عشان...!

صاح به صلاح قائلًا:

- إيه يا ابني فيلم «رُد قلبي» ده؟!!

علّق قطز تفسيره الأفلاطوني بين شفتيه، فهو يميل دائمًا إلى تفسير جرائم القتل بطريقة درامية تليق بشخصيته الرومانسية النابعة من أفلام الستينيات التي يحفظها عن ظهر قلب. وعلى الرغم من اتفاهي مع نظرية القاتل المأجور، فإنني بالطبع لا أؤيد فكرة أنها قُتلت لأنها فقيرة، فسيارتها الـ«ميني كوبر» تدحض تلك الفكرة العشوائية.

لم أتوقف عن تدقيق النظر في أركان السيارة، بينما أمارس عاداتي التي اكتسبتها منذ كنت طفلًا في الثامنة، وهي مداعبة حبة من الليمون الأصفر النضر وتحريكها بين أصابعي بنمط دائري يساعدي على التفكير بصفاء ذهن.



- سيادة النقيب لمونة.

التفت إلى صلاح السمج الذي نبهته مرات عديدة ألا يناديني  
بذلك الاسم اللزج، وزفرت ولم أجه فأعاد النداء:

- إنت يا ابني!

توقفت عن مداعبة الليمونة، ثم سألته بجدية:

- إنت عندك كام سنة يا صلاح؟

تعجّب من السؤال، وأجاب بابتسامة صفراء:

- جايبلي عروسة ولا إيه؟!

ثم ضحك كالكلب العاوي، وأكمل بسخافته المعهودة:

- أربعة وتلاتين سنة يا ابني.

- طول ما إنت تحت الخمسين سنة، ما تقوليش «يا ابني»

دي تاني!

- اتضايقت عشان باقولك يا ابني؟!

وصاح بأداء مسرحي منادياً شخصاً غير موجود:

- هات ياض بوكيه ورد ودبدوب أحمر نصالح بيه سيادة

النقيب لمونة عشان اتقمص.

عاد إلى الضحك بسخرية، فتمتت ضاغطاً على ضروسي:

- عيّل ممشش!

همس قظر:





- هيبجي يوم أظرفه بوكس يوقع شنبه ده!

قلت بفتور:

- طب يا صلاح باشا، حضرتك مسيطر وحاطط إيدك على  
خيوط القضية كلها ومش محتاج اتنين هواة زينا، نتكل إحنا  
على الله بقى. صباحك مربي.

- اتكلوا، إنتو مفيش منكم رجا.

كمارد خرج بغته من مصباحه، ظهر أمامنا بواب عمارة  
خمسيني، بجلباب رمادي، يركض مذعورًا تجاه سيارة الشرطة  
الزرقاء صارخًا:

- يا باشا! يا باشا! الحقنا يا باشا!

زقق فيه صلاح بعصية:

- إيه يا ابني إنت؟! بتصرخ زي البقرة كده ليه؟!

- مصيبة! مصيبة يا باشا!

أشار لنا صلاح بعجرفة قائلاً:

- شوفوا الزفت ده عايز إيه.

اعترض قظر:

- نشوف إيه؟! إحنا خلاص ماشيين، ابعت معاه الأمين.

رد صلاح بحزم:

- مش سيادتكم عايزين تترقوا وتبقوا باشوات؟ اتفضلوا





شوفوا شغلکم!

تذمر قطز:

- بس إحنا من إمبراح ما . . .

قاطعہ صلاح تالیًا ما يحفظه من قانون هيئة الشرطة كالبيغاء  
الأجرب:

- يلتزم ضابط الشرطة بتنفيذ ما يصدر إليه من أوامر بدقة  
وأمانة.

زفر قطز وتمتم منهزمًا:

- الله يحرقك إنت والسطرين اللي مش حافظ غيرهم!

التفتُ إلى البوّاب المذعور وسألته بفتور:

- موضوعك إيه على الصبح؟

- أستاذ طه عبد اللطيف، ربنا نزل عليه لعنته!

قال قطز وقد نفذ صبره:

- إنت لسه هتشوّقنا؟! اخلص! طه زفت ده ماله؟

- اتبخريا باشا!





لقد خانه التعبير، طه عبد اللطيف لم يتبخر، بل هو...  
 حسنًا، أنا عاجزٌ عن وصف ما أراه بعيني، فلو حكاه لي  
 أحدهم لسخرت منه، ولو رأته في فيلم لوصفته بالخيال  
 العلمي الرخيص.

\* \* \*

صعدنا مع البوّاب إلى عمارة جروبي التي ظل قظر يتأمل  
 سلالمتها وأبواب شققها متحدثًا عن فن «الآرت ديكو»  
 المعماري، فيما كان الجيران ينزلون إلى أشغالهم والطلاب إلى  
 مدارسهم، بينما البوّاب يقص علينا ما اكتشفه بأنفاس لاهثة:  
 - الأستاذ بيصحى كل يوم الساعة ستة، يسحب الجرنال،  
 وينزل يفطر. بس النهارده الساعة جت سبعة والجرنال لسه  
 على عتبة الباب. خبّطت عليه ما فتحش. خفت ليكون جاتله  
 غيبوبة السكر تاني، ففتحت الباب و...

قاطعت حكايته متسائلًا بجفاف:

- فتحت الباب إزاي؟

- بالمفتاح يا باشا. أصل من ساعة الأستاذ ما جاتله غيبوبة  
 سكر، إداني مفتاح شقته عشان يعني لو حصله حاجة أدخل  
 ألحقه، أصل النوبة اللي فاتت كان...  
 اعترض قظر حديثه مستوضحًا:



- هو عايش لوحده؟

- طليقتة عايشة في فرنسا مع ابنه بقالها يبجي ثلاثين سنة،  
وعمرها ما زارته.

وصلنا إلى شقته في الدور الثاني في آخر الطرقة، لنجد  
الجرنال ملقى عند عتبة الباب فوق الدواسة الخشنة الصغيرة.  
دخلنا الصالة الواسعة التي تعج بالأنتيكات الموضوعة  
بعشوائية. لو رأت جدتي ذلك المنظر الفوضوي لاشتاطت  
غضبًا من هذا الإهمال. وفور أن دخلت غرفة النوم في آخر  
الممر الطويل، نسيت كل الأنتيكات والتحف المبعثرة؛ فما  
رأيته كفيلاً بأن ينسيني اسمي!

فاحت رائحة مميته من هذه الغرفة التي يغلب عليها اللون  
الأبيض، ذات النوافذ الكبيرة المغلقة، والستائر الحريرية  
المسدلة، والسجاد الإيراني دقيق الصُّنع الذي يغطي أرضيتها،  
وفوقه سرير غطاءه أبيض بجواره كرسي محترق.

فوق مسند ذلك الكرسي كَفٌّ متفحمة، في إحدى أصابعها  
خاتم ذهبي مميز، وعلى مقعدة الكرسي المبطنة رماد منشور،  
وعلى طرف ظهر الكرسي رأس رجل مقطوع أكل اللهب  
تفاصيله، ويستند هذا الرأس، الذي تلاشت ملامحه، إلى حائط  
كُتب عليه بدهان أحمر ويخط اليد جملة واحدة: «الله أكبر»!

\*\*\*

أتى فريق البحث الجنائي فُصِّدُوا مثلنا.





كيف يمكن لأحدهم أن يحترق إلى درجة أن يتحول إلى رماد - عدا كفه ورأسه - ولا يُمس شيءٌ في شقته سوى كرسيه الذي طالته حروق جانبية؟! ليس هذا فحسب، لا توجد أي آثار لاقتحام المنزل، فالنوافذ كلها مغلقة، والباب لم يصبه خدش، والبواب دخل بالمفتاح، أي أن من ارتكب هذه الجريمة يملك مفتاحًا!

كثرت علامات التعجب وتصاعدت في عقلي، لكن أكثر ما أثار تعجبي واستفساري، بخلاف من ارتكب الجريمة، هو كيف ارتكبتها؟!

\* \* \*

- ده غضب ربنا!

هكذا أجاب الجار المسن القاطن بالشقة المقابلة لشقة المجني عليه، لأقابل جملته باستنكار:

- يعني إيه؟!

- يعني واحد ملحد عمّا يتنطط على القهاوي والصالونات الثقافية، ومخصص الجرنال بتاعه للكفر، قال إيه مفيش حاجة اسمها ربنا والكون ماشي بالفيزيا والكيميا! طب تقدرُوا بقى يا باشوات تفهموني بالفيزيا والكيميا، الراجل ده اتحرق واتحول لرماد إزاي؟ الجسم محتاج حرارة ما تقلش عن ١٥٠٠ درجة مئوية عشان يوصل للحالة دي، أنا كنت دكتور في كلية علوم وياقولك درجة حرارة زي دي كانت فجّرت العمارة كلها مش جسمه بس وياقي البيت مفيهوش خدش! دي قدرة القادر.



لم تختلف أقوال المسن عن غيره، جميعهم أكدوا أن طه عبد اللطيف صاحب جريدة «المعارف» اعتاد نشر أفكاره الملحدة في لقاءاته بالقنوات التلفزيونية، بل إنه ألف كتابًا نشره في لبنان وبعض الدول الأوروبية ينفي وجود الله، ويؤكد أن الأديان ما هي إلا كذبة اخترعها الأولون لحكم الأمم وتغيب الشعوب.

لذا، لم أتعجب حين أقسم الجميع، من بواب العمارة حتى أستاذ الجامعة المقيم فيها، أن ما حدث لطفه ما هو إلا انتقام الله العزيز الجبار.

انتهى كلانا من استجواب الجيران، ليوضح قطر تطابق أقوالهم مُعلقًا:

- محدش سمع صريخ، ولا شم ريحة شياط، ولا شاف دخان،  
ولا لمح حد غريب داخل أو خارج!

\* \* \*

وضعت يدي عند خصري ناظرًا إلى غرفة نوم القنيل، وقد أخذوا الكرسي بما عليه من رماد ورأس محروق وكف متفحمة، ولا يزال رجال البحث الجنائي يللمون أي أدلة، حتى أتى حسني المستكاوي - أمهر رجال البحث الجنائي - قائلاً بتوتر:

- مفيش أي مسببات للحريق، لا تسريب غاز، ولا ماس كهربائي، ولا بنزين مدلوق، ولا عُقب سيجارة، ولا شمعة، ولا حتى مركبات فسفور في الحيطان أو الدهان تسبب الحريق المنيل ده!



- طب والبصمات؟

- لسه بنرفعها، بس...

حك رأسه الكبير ثم قال:

- الموضوع فيزيائياً مستحيل! درجة حرارة الأوضة عادية جداً، الإزاز معليهوش بخار، مفيش أثر لهباب الحريق على أي حاجة من الحاجات البيضا اللي في الأوضة، الأوضة مليانة حاجات معدنية كانت المفروض تسيح! الراجل ده اتعرض لنار ما تقلش حرارتها عن ١٥٠٠ درجة عشان يتحول لرماد كده. حرارة زي دي المفروض تخلي جمجمته تتمدد أو تنفجر، لكن جمجمته سليمة! ملامحه اتحرقت، لكن لحمه ما وقعش! وحتى الخاتم الذهب اللي في صباعه ما انصهرش! إزاي يتحول لرماد وما يتبقاش منه غير كف وراس؟! من الواضح كده إن ده...

قاطعته بضجر:

- إوعى تقولي إنت كمان إنه غضب ربنا.

- ليه لآ؟ ما سمعتش عن البنت اللي حرقت القرآن فربنا لعنها واتحولت لمعزة؟ ولآ الواد...

- هو إنت من النوع اللي بيدخل يعمل لايكات لبوستات مکتوب فيها «نحداني يهودي أن أجمع مليون لايك»، و«لن تصدق منظر قطة تؤذن»، و«ديك يؤم المصلين»، والجو ده؟

- إنت بتتريق؟ هو ربنا مش قادر يولع في حد أهانه؟ إنت مش



مؤمن بقدره ربنا؟

- يا عم إنت هتكفّرنا؟! أنا مؤمن بقدره ربنا وعقابه، بس زمن المعجزات انتهى، والكلام ده بيحصل في الآخرة.

- وفي الدنيا كمان، عشان نبقى عبرة لغيرنا.

قاطعه قطز متفلسفًا:

- لا مؤاخذة يعني، ما أوروبا كلها ملحدين، إسمعني طه بالذات اللي يبقى عبرة؟!!

توقف حسني قليلًا ثم كاد أن يجيب لكني تدخلت:

- هو ربنا يوم ما يعاقب حد هيكتب على الحيطه الله أكبر؟! الموضوع فيه لعبة.

- طب اتفضل يا سيادة النقيب فسرهالي!

نظرت حولي ثم سألت قطز:

- البوّاب لسه بره؟

- في الصالة، والعسكري عينه عليه.

خرجنا من الغرفة فهمست لقطز مستعجبًا:

- لما أذكى واحد في فريق البحث الجنائي بي فكر كده، الناس

اللي على قدها هتقول إيه؟!!

- إحنا لبسنا قضية حلزونية. منك لله يا صلاح!

\* \* \*





اتجهنا إلى البوّاب المتوتر الذي انتفض من مقعده فور أن  
رأنا نقرب منه، لكنني جلست أمامه عاقداً أصابعي، وقائلاً  
بنبرة جافة حازمة:

- مين اللي عملها؟

- رينا يا باشا، ده عقاب.

- ماشي، ماشي، ده عقاب رينا. مين بقى اللي طبّق عقاب  
رينا على طه؟

- والله ما أعرف يا باشا. الناس كلها شايفين إن أستاذ طه  
كافر ولازم يتطبّق عليه الحد. لو كان مات مدبوح ولا مقتول  
كنت هاقولك تلاقية عيّل متشدد، لكن الموتة دي مش من فعل  
بشر.

فرد كفيه في وجهي مقسمًا:

- والعشيرة دول، دي قدرة الله وحده.

زفرت، ثم فركت عيني قائلاً بمَلَل:

- طه ده بيعمل إيه في يومه؟ بيروح فين؟ بيقابل مين؟

- بيصحى الساعة ستة، ياخذ الجرنال وينزل يفطر في جروبي،  
بس لما جروبي قفل بقى بيروح المطعم القديم ده اللي كله إزاز  
اللي في الشارع هنا و... .

قاطعته قطر:

- مطعم ريش؟





- أيوه يا باشا. بيفطر ويروح مكتبه في شارع التحرير، بعدها يتغدى ويرجع ينام من الساعة ستة للساعة ثمانية، وعلى تسعة كده بينزل يقعد على القهوة اللي ورا مطعم ريش أو يروح صالون المتثقفين وما يرجعش قبل الساعة حداشر أو اتناشر بالليل عشان ينام على طول.

- فيه حد بيتردد هنا على بيته؟

- عمري ما شُفتله قريب ولا حبيب، ما كانش فيه غير أخوه وده مات من يبجي عشر سنين.

سأله قطز متثائبًا بطريقة لا تليق بهيبة التحقيق في قضية تفحّم شخصية عامة:

- فيه أي حاجة غريبة حصلت إمبراح؟

- أبدًا يا باشا. أنا قمت من مكاني الساعة اتناشر، والأستاذ وصل على حداشر وكان شكله مبسوط أوي، ده حتى كان ماشي يدندن للست.

- فيه حد تاني معاه مفتاح الشقة دي غيرك؟

- الله أعلم، بس...

صمت مفكرًا، ثم اضطرب فقال:

- هو سعادتك شاكك فيّ يا باشا عشان معايا المفتاح؟ طلاق ثلاثة ما عملت حاجة، وربنا المعبود أنا في العمارة دي بقالي خمسة وأربعين سنة ما حد شاف مني حاجة وحشة، وحتى الأستاذ نفسه بالرغم من كُفره كنت حاطه فوق راسي، أنا



بإعامل الناس كلها واحد و... .

- ما خلاص يا عم! سد بئك ده!

نهضت قائلاً، وقد رافقني قطز:

- تعال نبص على الأماكن اللي بيروحها، يمكن نطلع بأي

معلومة حزينة!

\* \* \*

بدأنا كما اعتاد طه أن يبدأ يومه، فاتجهنا إلى مطعم ريش

سيراً على الأقدام.

كان مطعمًا عتيقًا يشبه صندوقًا زجاجيًا كبيرًا موضوعًا في

إطار خشبي عملاق تنسدل على جوانبه ستائر بيضاء. فور أن

تدخله، ستلفت نظرك تلك الملصقات القديمة، وعبارة «اللي

اختشوا ماتوا» المكتوبة بالأحمر بجوار مجموعة كبيرة من

الإعلانات عن ندوات وجلسات ثقافية متنوعة.

وقف قطز عند الباب متأملًا السلم النحاسي الجانبي، ثم

تمتم لي قائلاً:

- تعرف إن أيام ثورة ١٩١٩ كانوا عاملين مطبعة هنا بتطبع

المنشورات اللي...

قاطعته بنفاد صبر:

- تعرف تسكت!

استقبلنا عند الباب جرسون داكن البشرة، يرتدي قميصًا





أبيض وصديراً أسود و«بابيون» أنيقاً.

اقترب منا قائلاً بلامح متحفظة:

- صباح الخير.

قلت بهدوء:

- النقيب نوح الألفي من المباحث الجنائية.

ارتبك الجرسون وقال:

- خير سعادتك؟

- أنا بأسأل عن الأستاذ طه عبد اللطيف و...

- هو لسه ما جاش بس...

قاطعه قظر:

- مش هيبجي. طه اتقتل.

انقبضت ملامح الجرسون الكهل، وجحظت عيناه وسط هذا

الكم المهول من التجاعيد حولهما، وقال:

- يا حول الله، الله يرح... ولأ بلاش.

- ما تجوزش عليه الرحمة ولأ إيه؟

- آديه قابل رنا اللي كان بينكره. مين اللي عمل فيه العملة

دي؟

- هنعرف. هو جه هنا إمبارح؟





- أبوه، كان متعود بيجي كل يوم يفطر مع ضيوفه.

- يطلعوا مين ضيوفه دول؟

- بهوات من اللي بيطلعوا يزعموا في البرامج.

- يعني بيجوا يفطروا سوا وس؟ ما بيتكلموش في حاجة؟

- مش بيتكلموا كثير. بيسلمهم وييستلم منهم جوابات،

وبعدا يفطروا ويمشوا.

سأله قطز:

- جوابات إيه؟

- ما أعرفش. أظن حاجات تخص الجرنال بتاعه. هو صاحب جرنال كبير ورثه عن أبوه. أنا كنت تملي أقرأه بس بعد ما بقى بيخوض في دين الله بطلت أجيبه. حاكم أنا أعرف الأستاذ من أيام ما كان بيجي مع أبوه، كان راجل يتحط على الجرح يطيب، والعيبة ما تطلعش منه، لكن نقول إيه، يخلق من ضرر العالم فاسد!

استفهم منه قطز:

- إنت شايفه وحش أوي كده؟

- الأستاذ طه كان كويس لحد ما سافر فرنسا، حاله اتغير، ولما رجع بقى يقول حاجات غريبة اتعلمها من بلاد بره، ومشى في خط الكُفر لحد ما غاص في الوحل، وبقى كل ليلة يدب خناقة على القهوة اللي ورانا بسبب أفكاره دي.



- اتخاقت إمبراح مع حد معين؟

- ما أعرفش، أنا ما باقعدش على قهاوي.

- طب إمبراح كان معاه حد على الفطار؟

- آه، الراجل اللي اتخاقت معاه ده في التلفزيون.

- راجل مين؟

- رجل الأعمال ده اللي اسمه منصور الباز. طه كان طالع

أستغفر الله العظيم بیدافع عن حقوق الشواذ، وقال إيه من

حقهم يتجوزوا رسمي زي ما بيعملوا في أمريكا. جه الأستاذ

المحترم منصور الباز متصل على الهوا ومسح بكرامته

الأرض، وقاله إنت بتبوّظ الشباب، مش كفاية بتدعو

للإلحاد؟! كمان للشذوذ؟! ساعتها أنا اتبسّطت أوي منه،

بس لما لاقيتهم تاني يوم سمن على عسل ويفطروا مع بعض

ويضحكوا، عرفت إنها تمثيلية، ولعنتهم هم الاتنين.

- كانوا بيتكلموا عن إيه؟

- أنا سمعي على قدي، بس الظاهر في الأول كانوا شادّين

في الكلام، والأستاذ منصور بيكلمه من تحت ضرسه، بعدها

اتصالحوا وهزروا واتعازموا كمان على مين اللي هيدفع.

حككت ذقني قائلًا:

- وطه سلمه أو استلم منه أي ظرف؟

- لا، فطروا ومشيووا.





قررنا أن نقسّم أنفسنا.

ذهب قطز إلى مكتب طه في شارع التحرير ليتحقق من أمر الأظرف التي اعتاد أن يسلمها ويستلمها، بينما ذهبت إلى المقهى الذي كان يومًا ما حديقة شاء القادر أن تتحول إلى شارع ضيق مبلط تتراص فيه الكراسي والطاولات البلاستيكية الزرقاء التي توضع عليها المشروبات.

تحدثت مع صبي المقهى عن طه، ولم يقل ما يخالف كلام الجرسون في مطعم ريش، لكنه أضاف أمرًا مهمًا:

- إمبراح الأستاذ عزت اتعصب عليه و...

- عزت مين؟

- شاب ملتزم بتاع رينا ساكن في العمارة دي.

وأشار إلى العمارة الموجودة في آخر الممر.

- شد إمبراح مع الأستاذ عشان هو زودها حبتين. عزت جادله بالتي هي أحسن، بس هو رد عليه ببرود وفضل يستفزه، فكان هيمد إيده عليه وبقى يقوله هتحل عليك لعنة الله، لكن إحنا طبعًا فرقنا بينهم يعني والموضوع خلص على خير.

- عزت ده اتخانق مع حد قبل كده؟

- لا يا باشا، ده في حالة. دي حتى أول مرّة أشوفه متعصب كده. بس يا بيه ما تدقش، أستاذ طه كل ليلة يدب خناقة مع حد، بيقتد معاه خمس ست عيال أستغفر الله العظيم زيه كده،



والباقي مش راضيين عن كلامه. أنا قلت لصاحب القهوة ديك  
النهار ما يخليش الأستاذ يبجي يقعد هنا ثاني عشان المشاكل  
اللي بيعملها وعشان بركة المكان ما تَقْلُش، بس هو قالي يا  
وادي كنكة ما دام بيدفع حسابه يبقى كل واحد حر.

صمت ناظرًا في اتجاه العمارة التي أشار إليها قائلاً إن عزت  
يسكن فيها، فعلق الصبي:

- بتفكر إنت في عزت يا باشا، صح؟

لم أعلق، فأردف هو:

- مستحيل. مش بس عشان هو شاب عاقل ووحيد أبوه وأمه،  
لكن كمان عشان إمبراح قبل حتى ما الأستاذ طه يرجع بيته،  
عزت وقع على الرصيف فرجله اتكسرت وإحنا نقلناه على  
المستشفى.

\* \* \*

لم يكن يكذب، لقد كُسرت ساق عزت بالفعل.

استقبلتني والدته وهي تظن أنني زميل له أتى ليطمئن عليه.

لم أكن زائر الوحيد، ففي هذه الشقة الواسعة التي تراصت  
على حوائطها آيات قرآنية ومسابح عملاقة، وتوسطت طاولة  
طعامها مبخرة أنيقة تفوح منها رائحة بخور خانقة، وجدت  
ثلاثة شباب آخرين تقترب أعمارهم من الثلاثين. كانوا على  
وشك المغادرة بعد أن اطمأنوا على صديقهم السمين الراقد  
في سريره وبجواره منضدة عليها مصحف ومسبحة إلكترونية.





قدمتني والدته إليه على أنني صديقه، على الرغم من أنني لم  
أقل ذلك، لكنه رحب بي بابتسامة قائلًا:

- أهلاً وسهلاً، شرفت. تشرب إيه؟

- شكرًا.

- لا، لازم تشرب حاجة لحد ما والدتي تحضر الغدا.

- ألف شكر.

انتظرت حتى غادرت والدته، ثم أكملت:

- في الحقيقة أنا جاي أسألك سؤالين.

- سؤالين إيه يا أخ...؟ اعذرني وجهك مش مألوف، حضرتك

معانا في الجامعة؟

- لا، أنا النقيب نوح الألفي من المباحث الجنائية.

تغيرت ملامحه واضطرب قائلًا:

- مباحث؟! خير؟!!

- أنا جاي أسألك عن اللي حصل مع طه عبد اللطيف.

- قصدك على الخناقة؟ أنا ما مديتش إيدي عليه، مسكت

نفسي على آخر لحظة وقلت والكاظمين الغيظ وده برضو من

سن أبوك وما يصحش. بس الراجل ده قادر على بث الفتنة زي

ما الحية بتبخ سمها!

- عشان ملحد؟





- أنا مش معترض على إنه ملحد، ده شيء بينه وبين ربه،  
أنا معترض على إنه بيدعو الجميع للإلحاد علناً. هي العقول  
ناقصة ضياع وتشتت أكثر من اللي هي فيه؟!!

- وطبعاً ده دافع كافي لقتله.

انتفض متأوهاً مستنكراً الخبر الذي أعلنته له:

- قتله؟! هو مات؟

- طه مات محروق في شقته، وعشان...

- وعشان أنا متدين وملتحي سيادتك استنتجت إني ورا قتله  
وجاي تلبسني التهمة في بيتي!

- أنا مش جاي ألبسك حاجة. إنت اللي اتخانقت معاه وهددته  
والكل يشهد بده.

- والكل برضو يشهد إن رجلي اتكسرت واتنقلت للمستشفى  
قبل ما الأستاذ يروح.

- جاز إنك تروح المستشفى، وتحرض غيرك على إنه ينفذ  
...و

قاطعني بنبرة متعالية لا تتناسب مع خديه الممتلئين بشكل  
طفولي:

- باشا! لما يبقى معاك دليل ضدي غير دقني، ابقى تعال  
اقبض عليّ، أديك عرفت المكان!

سحب مصحفه المجاور وفتحته، وهمّ ليقراً فيه وهو يتمتم:



- حسبي الله ونعم الوكيل.

\* \* \*

لم أعد قادرًا على البقاء مستيقظًا أكثر من هذا.

حل العصر علينا، فجلسنا في سيارتي «النوبيرا» الحمراء  
كثيرة الأعطال، نجمع كل ما توصلت إليه أنا وقطر من  
معلومات، نافثين دخان سجائرنا.

قال قطر:

- كل اللي شغالين في جرناله نفس دماغه، شايفين إنا  
عايشين في مجتمع جاهل ومتخلف ومتطرف، وإن نابغة زي  
طه كان مستهدف بسبب أفكاره المستنيرة، وإنه شهيد الانفتاح  
الفكري.

نفث دخاني مطلقًا فقرات عنقي المتييسة وأنا أسأل قطر:

- ما لقيتش حاجة مهمة في مكتبه؟

- كلها كتب فلسفة عن الإلحاد وأفكار سياسية ومسودات  
مقالات.

- مفيش خزنة ولا درج مقفول ولا...

- مفيش غير لابتوب عليه باسورد بعته للشباب عندنا  
يفتحوه. بس عايز أقولك الصحافة شغالة على ودنه، مفيش  
حد في مصر دلوقتٍ مش بيعمل شير للخبر ويقول الله أكبر!

- إحنا وصلنا لإيه لحد دلوقتٍ؟





- طه له بدل العدو ألف، بسبب... .

- بسبب إنه ملحد. يعني دايرة البحث بتاعتنا في المتطرفين اللي عندهم القدرة إنهم يدخلوا شقته ويطلعوا منها من غير ما يقتحموها. بس إزاي فحموه كده؟ وبعدين، إيه حوار الجوابات اللي قال عليها الجرسون دي؟

- ما أنا سألت البت السكرتيرة قالتلي إن هي دي طريقة طه في استلام الصور أو الأخبار من اللي شغالين معاه، وإنه دايمًا بيدي فلوس في الأظرف.

- مش راكب في دماغى الهري ده.

- ولا أنا. العملية مقفلة من كل حته يا نوح. البيت مفيهوش غير بصمات البواب وطه نفسه.

- يبقى البواب اللي عملها.

- الناس شهدت إنه فضل على القهوة اللي في شامبليون من ساعة ما ساب العمارة في نص الليل لحد أذان الفجر، وبعدها صلى جماعة ونام على روجه في المسجد بعد الصلاة لحد ما الناس صحوه، وراح العمارة وزّع الجرايد ونضف العربيات ومسح السلم، وبعدها اكتشف الجريمة. أنا عصرته أسئلة و... .

- أومال مين يعني اللي عملها يا قطز؟! أبوبا طلع من قبره ولع في سي طه ورجع تاني؟!!

- هدي أعصابك، مش ناقصين توتر. بتوع المعمل شغالين شغل من نار، وأكد النتائج اللي هتطلع هتوصلنا لحاجة. بس



عارف إيه اللي هيجنني؟

- انجز.

- أنا سمعت عن موته زي دي قبل كده، كونتيسة إيطالية  
جسمها اتحول لرماد وما اتبقاش منها غير ثلاث صوابع،  
وبرضو مفيش حاجة ولعت في قصرها.

- قطز، انزل من العربية!

- باتكلم بجد. ماما حكيتلي الموضوع ده قبل كده، بس مش  
فاكر كان اسمها إيه.

طرق قطز أصابعه قائلاً:

- هو أنا واجع دماغي ليه؟ ما تسألنا أختك، أكيد تعرف عن  
تاريخ إيطاليا أكثر مني وهتفيدنا.

- عارف إيه اللي هيفيدني بجد؟

أخمدت سيجارتي مردفًا:

- ساعتين نوم.

- نوم إيه دلوقتِ يا نوح؟! إحنا ماسكين قضية بنت ستين في  
سبعين والعيون كلها علينا وإنت تقولي أنام؟!!

- فُكك. أنا مطبق من أول إمبراح.

- براحتك. أنا مش هانام غير لما على الأقل ألاقى خيط  
نمشي وراه.

- هنلاقي الخيط، وهنمسك القاتل، وهيحل السلام العالمي،





بس أنام الأول.





صعدت سلالم العمارة رقم ٦٠ المظلة على النيل في جاردن سيتي، حيث أسكن مع جدتي منذ أن تزوجت أمي من ذلك الطبيب النفسي اللزج.

فتحت الباب الخشبي الثقيل ذا الشُّراعة الزجاجية، فأتاني صوت الكلبين ينبحان في المدخل.

دخلت فشممت رائحة الفراولة التي تعصرها جدتي إحسان الدمرداش البالغة من العمر سبعين عامًا، والتي لا تسمع سوى أغاني «إديت بياف» التي تنبعث موسيقاها الباريسية من أسطواناتها السوداء الدائرية في «الجرامافون» النحاسي الذي أهداه لها جدي الراحل أيام خطبتهما، وقد اشترت باقي الأسطوانات من فرنسا في أثناء بعثة التفوق التي حصلت عليها مع مجموعة من دارسي الحقوق إلى جامعة «السوربون»، لتعود بعدها وقد صارت أستاذ القانون الجنائي بجامعة القاهرة، إلى أن تُوفِّي جدي وتركنا مع كلب «جيرمن شيرد» يُطلق عليه «روي» وكلبة «جريفون» فرنسية بيضاء تشبه علبة المناديل، سمَّتها جدتي «لولو».

كانت «لولو» الفرنسية تناسب شخصية جدتي الفرانكفونية بشدة، فأحسان لا تُتم جملة دون أن تستخدم مصطلحات فرنسية لا أفهمها، وتتعطر دائمًا بزجاجة «شانيل ٥»، وتقدس تصفيفة شعرها الفرنسية وصبغتها بدرجة الأحمر الكرز.

لا ترتدي جدتي سوى الأثواب والبلوزات من الشيفون



والتنانير الراقية، ولن تجد في خزانتها بنطلونًا واحدًا، بل هناك مجموعة من القبعات الأوروبية المنتمية إلى حقبة الخمسينيات المنصرمة، ومعظم ملابسها - إن لم تكن كلها - مزركشة بطبعة النمر البنية.

أخذت «لولو» تقفز أمامي وتستند بقدميها الأماميتين على ساقى كالملبوسة، وهي تنبح فور أن دخلتُ صالة البيت كأنها تعلن لجدتي عن وصولي.

- إنت جيت يا نوح؟

- آه يا تيتة.

تخطيت الصالة ذات الصالون الفرنسي الأنيق والتحف المرصوفة بنظام، التي انشغلت الخادمة فكيهة بتنظيفها بالماء والليمون بحرص.

اتجهت إلى المطبخ حيث كانت جدتي تقف أمام الخلاط تمارس هوايتها المفضلة في جمع الفاكهة وعصرها وتعبئتها في أكياس بلاستيكية ثم إلقائها في المجمد لتساها لشهور، فتلتقط رائحة الثوم والبقدونس واللحم النيئ، ثم تراها مصادفة فتخرجها وتعمل على فك تجميدها كي أشربها أنا بما تحمله من عبق روائح متداخلة غصباً وافتراءً.

أسندت رأسي على الثلاجة التي امتلأت بمجسمات ممغنطة لبرج إيفل وقوس النصر وعلم فرنسا و يضع كلمات فرنسية، وقلت:

- فيه إيه يتاكل يا سونة؟





استدارت بوجه أسود متفحم جعلني أجفل متممًا:

- بسم الله الرحمن الرحيم!

- إيه يا ولد؟! شُفت عفريت؟!

- إيه اللي على وشك ده؟

- ماسك القهوة.

صبت الفراولة من الدورق في كوب زجاجي وناولته لي،  
فقلت معترضًا:

- مش عايز عصير. أنا جعان.

- الأكل بيجهز.

نظرت حولي متفحصًا المطبخ السيراميكي الذي تلمع زواياه،  
وقلت:

- أكل إيه اللي بيجهز؟! أنا مش شايف حلة واحدة على النار!

- هيجهز دلوقتِ، خد دش ونام شوبتين هتصحى تلاقي الأكل  
جاهز.

- أنا عايز آكل دلوقتِ!

- «chéri»، ده مش بنسيون عشان تاكل وتنام فيه وس.

- هو أنا نسيت أقولك؟ مش هم اخترعوا البيوت عشان ناكل

ونشرب ونرتاح فيها، مش عشان نخترع الذرة.

زفرت لتذكرني ممن ورثت قلة صبري، ثم أخذت تتمتم





وتسبني بالفرنسية.

نظرت في ساعتها الذهبية الرقيقة التي لا تخلعها إلا عند الاستحمام، ثم اتجهت صوب الحمام وبدأت تفرك وجهها بشكل دائري لتزبل ماسك القهوة وهي تصفر ببال رائق.

استسلمت متجهاً إلى غرفتي التي نظفتها فكيهة وفاحت منها رائحة الليمون.

وفور أن خلعت حذائي وسترتي، وجدت نفسي أغوص في نوم لا سلطان لي عليه.

\* \* \*

هي ذكرى أكثر من كونها حلمًا:

أقف في كهف مظلم، في سقفه فجوات يتخللها على استحياء ضوء خافت، ثم أجد مجموعة من البدو متكورين في زاوية قصية يرتعشون.

أرى ملكًا فرعونيًا يطوف حولهم، وفارسًا محاربًا على حصانه الأسود يتجول في دهاليز الكهف.

أشاهد نفسي طفلًا في الثامنة من عمره، أمامي شابة بدوية آية في الجمال، ذات بشرة رائقة، وعينين واسعتين، وأنف دقيق، وشفيتين مكتنزتين، وشعر أسود طويل ينسدل حتى خصر دقيق يعلوه ثوب مطرز.

تجثو البدوية الحسناء على رُكبتها، وتفتح لي قبضتها لتريني ليمونة صفراء كبيرة نضرة، ثم تهمس لي بابتسامة





مشجعة:

- لو رايد الأمان، شُق اللمونة يا إنسان، وانطق اسمك، بعد ذكر السلام.

أخذ منها الليمونة وأشقها نصفين، فيلتفت إليّ فجأة كل الموجودين، فأقول لهم بفخر:

- السلام عليكم، أنا نوح الألفي.

فيبتسمون جميعاً وبهزون رؤوسهم مجيبين في صوت واحد:

- وعليكم السلام!

\*\*\*

شعرت بيدين توضعان على عينيّ بغشامة، وإصبع تُدس في فمي بشقاوة، فاستيقظت من حلمي منتفضاً لأجد التوأمين العفريتين ابني شقيقتي الكبرى نادية يلعبان في فمي وعينيّ التي تظل مفتوحة في أثناء نومي.

- يا ولاد ال... .

ركضا مقهقهين خارج الغرفة، فجلست على الفراش المقابل للنافذة المظلة على النيل، وقد خيم الظلام على الأفق وتراقصت أنوار البواخر العائمة في النهر.

فركت عينيّ، ومسحت لعابي، ثم تفقدت هاتفي. قطز لم يتصل بعد!

خرجت من الغرفة على نباح «لولو» المزعج، فصحت في





اتجاه المطبخ:

- ما تسكّتي علبة المناديل دي يا تيتة!

اصطدمت في الصالة بأختي نادية التي لا تشبهني في شيء سوى العينين العسليتين والغمازتين الواضحتين، فيما عدا ذلك فهي شخصية متسلطة، قليلة الصبر، حادة المزاج، على النقيض من زوجها طارق عثمان الذي وُلد وتربّى في الكويت ثم عاد إلى مصر لدراسة الصيدلة في جامعة عين شمس، بينما درست أختي في كلية الألسن قبل أن تُعيّن مُعيدة تدرّس مادة «تاريخ الأدب الإيطالي» في قسم اللغة الإيطالية، وقد تزوجا فور أن أنهيا دراستهما ليكونا زوجين مختلفين كل الاختلاف، لكنهما منسجمان كل الانسجام!

الاختلاف بينهما لا يتوقف عند حدّ أنه فارح الطول وهي شديدة القصر، أو أنه صاحب بشرة داكنة وهي ذات بشرة فاتحة، بل يتجلى اختلافهما الكبير في كونه شديد الصبر، طويل البال، بارد الأعصاب، دبلوماسي الردود، مبدأه هو «حاضر بتريّح»؛ ويظهر ذلك حين ينفذ تعليمات وأوامر نادية متجنبًا سورات غضبها القادرة على جعل حياته أسود من أيام النكسة، ويتجلى الاختلاف أكثر في طريقة تربية أطفالهما الثلاثة: تالا، ذات الأعوام الخمسة، والتوأمين يحيي (على اسم والدي الشهيد) وباسر، ذوي الأعوام الثلاثة؛ فنادية تضخّم كل الأمور فيما يتعلق بصحة الأطفال وتفوقهم وتميزهم، وتصيح بهم كالمجنونة إذا أخفقوا في أمر أو تعدوا حدود اللياقة التي لا يفهمونها بعد، بينما طارق يظل يتابع الأفلام



الوثائقية على «ناشيونال جيوغرافيك» و«نتفليكس» ببالي رائق.

مرت سبعة أعوام على زواج نادية وطارق، وما زلت لا أرى قاسمًا مشتركًا بينهما سوى أن كلًّا منهما يرتدي نظارة كبيرة، ويحب صوت «بافاروتي» الأوبرالي، ويدمن القرفة بالحليب، وأنهما معًا يؤلفان روايات بوليسية مشتركة حازت نجاحًا لا بأس به.

- كنت لسه هاصحيك.

قالتها نادية وهي تخرج من المطبخ بأطباق الكسكسي بالخضار، ولحم الضأن.

- عيالك الشياطين كانوا يلعبوا في خلقتي!

جحظت عيناها، وتطير منها الشرر في اتجاه الطفلين اللذين يحاولان امتطاء «روي» المستسلم لهما وكأنه حصان، ثم صرخت فيهما:

- بتعملوا إيببييه؟! أنا مش قلت نقعد محترميبيين؟! تعالوا هنا!!!!!!

خرجت تالا، التي ورثت من أمها غمازتيها ومن أبيها بشرته الداكنة وشعره الكثيف، من المطبخ، وركضت نحوي بحماس طفولي يحرك في داخلي غريزة أبوية لا تصحو إلا في وجودها الملائكي:

- نوووووووووح!





حملتها عن الأرض وقبّلتها مداعبًا ضفيريّتها المشدودتين:

- حبيبة قلبي، مربي بالتوت يا ناس!

ضحكت ثم همست في أذني:

- جبّتي الحلويات اللي قلتك عليها؟

أجبتها هامسًا كمُهربي الجمارك:

- جبّتها. الجو أمان عندك إنت؟

- أمان.

قالتها غامزة، بينما صاحت نادية:

- بتتوشوشوا على إيه؟

قبّلت تالا ثم أنزلتها على الأرض قائلاً:

- خليك في حالك!

لو علمت نادية أنني اشتري لأطفالها الحلوى التي تمنعها

عنهم لشنقتني في ميدان عام!

خرجت جدتي حاملة صحناً كبيراً من لحم الضأن، وقالت

لنادية:

- ما تنادي على جوزك البرطّة ده يشيل معانا!

صاحت نادية بصوتها الحاد:

- طاراراراراراراراراراراراق.





- حاضر.

خرج طارق من غرفة المعيشة في ثوانٍ، بابتسامته البلهاء،  
والتيشيرت البولو الأسود الذي لا يرتدي غيره، والكروكس  
الرمادي وتحتته الشراب الصوفي الأبيض، فنظرت جدتي  
«الفاشونستا» إلى قدميه قائلة باستنكار:

- البتاع البلاستيك اللي بتلبسوه ده بيحرقلي دمي!

- يا تيتة ده حاجة في الإنجاز، أنا ساكن في الشارع اللي  
قدامك، هاجيلك بتوكسيدو يعني؟!

قالت من تحت ضرسها:

- أهو ده اللي إنت فالح فيه، الاستظراف، هات باقي الأطباق،  
نوح على لحم بطنه من الصبح.

\*\*\*

تجمّعنا حول السفارة، ولم يتوقف التوأمان عن تبادل القرص  
والرّكل تحت ستار المفرش، وتالا تسألني كل دقيقة عن موعد  
تسليم البضاعة المهزّبة، وجدتي تأكل من طرف الشوكة بأناقة،  
بينما طارق يلتهم الكسكسي بنهم، «فتزغده» نادية بمرفقها  
وتقول بصوت يشبه الفحيح:

- بالراحة! مش آخر زادك!

التفتت إليّ نادية بحماسٍ لا تراه يلمع في عينيها إلا حين  
تتحدث عن جرائم القتل، وقالت:

- شُفت يا نوح خبر موت طه عبد اللطيف؟





- شُفته؟! دا أنا اللي متدبُّس في القضية!

أمسكت نادية وطارق عن الطعام، وتبادلا النظرات كالمتمارين، وإذ بطارق يقول لي باسم الثغر متحمسًا حماس البُلهاء:

- قول والله!

- إنت عبيط ولّا إيه؟!

قالت نادية بحماس مشابه:

- إنت مش فاهم، دي علامة من عند رينا. أنا وطارق كنا بنفكر نكتب رواية عن الموت بال«SHC».

- الموت بإيه؟!

أجابني طارق بطريقة علمية:

- الاحتراق الذاتي البشري، دي حالة نادرة جدًا. في خلال القرنين اللي فاتوا، ما اتسجلش غير حوالي ميتين حالة بس ماتوا بسببها، زي طه كده.

تركت الطعام، وقلت بفضول:

- وضحلي.

- الموضوع ببساطة إن واحد بيموت محروق بدون ما المكان المحيط به يتأثر. الإنسان بيكون هو مصدر الحريقة، هو الفتيل، بيفضل يتحرق بشكل عمودي لحد ما يبقى رماد، وده بسبب إن الدهون المتخزنة في جسمه بتبقى عاملة زي البنزين





اللي مستني شرارة صغيرة تولعه، ومفيش شيء بيتحرق غير  
الإنسان نفسه أو أي شيء يلمسه وهو...

- اللي إنت بتقوله ده كلام علمي يا طارق، ولأ فانتازيا  
بتألفوها؟!!

أسرعت نادية مدافعة:

- طبعًا كلام علمي. لو دوّرت على النت عن ظاهرة الاحتراق  
الذاتي البشري، هتلاقي قصص ناس حقيقية، زي الفارس  
بولونوس فورستيوس لما شرب كمية كبيرة من النبيذ وبعدها  
ولّع سيجارة واحدة فاتحرق، والأرملة ماري ريزر، والكونتيسة  
الإيطالية كورنيليا دي باندي اللي اتحولت لرماد وما اتبقاش  
منها غير...

أسرعت بمقاطعتها قائلاً:

- تلات صوابع! قطز حكالي عن الحوار ده!

- الموضوع مثير أوي للاهتمام، ومحدثش كتب عنه قبل كده.

- لأنه حاجة ما يستوعبهاش العقل!

- عندك حق. في العصور الوسطى كانوا بيفسروا الموضوع  
ده على إنه سحر أسود من كُتر غرابته، ودلوقتٍ...

قاطعتها ساخرًا:

- دلوقتٍ بيقولوا إنه غضب رينا على طه الملحد الزنديق!

علّق طارق:





- اللي يشوف الموضوع من بعيد هيفتكر كده، خصوصًا إنه قبلها بيبجي أسبوع طلع في التلفزيون مع شيخ وقاله لو رنا بتاعك ده متضايق من اللي باقوله خليه يرد عليّ بنفسه!

قالت جدتي بعد صمت طويل كانت تتابع فيه الحديث بترفُّع:

- وأهو رينا رد!

التفت إليها مستغربًا:

- إنتِ فعلاً مصدقة يا سونة إن ده غضب رينا؟!

- واحد يموت موته بشعة زي دي، وما يلاقيش اللي يتعاطف معاه، ولا اللي يدعيه بالرحمة، أظن إن ده أكبر غضب من رينا ممكن ينزل على حد!

فكرت في كلامهم، ثم وجهت سؤالي إلى نادية وطارق:

- لو افترضنا إن الكلام ده صح، وإن الجسم هو اللي بيتحرق ويعمل الحرارة دي، فإزاي إيده وراسه يفضلوا سلام؟

أجابني طارق:

- غالبًا الإيد والرَّجل بيتصابوا بحروق وينفصلوا عن باقي الجسم، لكن مش بيتحولوا لرماد عشان دول أقل منطقتين فيهم دهون.

- يعني الدهون والتُّخن شرط أساسي للموتة دي؟

- معظم اللي ييموتوا بالطريقة دي بيبقوا تُخان، وكبار في السن، ويشربوا كحول كثير، ومدخين، وناموا ونسيوا





السيجارة في أيدهم أو مثلًا كانت فيه شمعة جنبهم فولَّعوا.

- طب لو مفيش ده ولا ده؟

- أكيد فيه حاجة تانية. لازم يكون فيه شيء، حتى لو شرارة من أي جهاز كهربائي أو موبايل مثلًا، سبب حرق الدهون والأعضاء الداخلية ومن بعده يدوب اللحم و... .

صاحت جدتي ممتعضة:

- إيه القرف اللي بتقولوه على الـ«table» ده! كلوا وإنتمو ساكتين!

\*\*\*

جلست مع نادية وزوجها اللذين أسهبا في الحديث عن هذه الظاهرة، ثم أسرع طارق إلى شقته ليحضر اللابتوب، وجلسنا نحن الثلاثة نتناقش في الأمر.

عرضا عليّ كل ما جمعا من معلومات وأخبار عن حوادث مشابهة، ثم وضعنا معًا قائمة بالعلامات المشتركة بينها وأسباب حدوثها.

بعد مُضي بضع ساعات من البحث الموسَّع، اتصلت بقطر الذي أجابني بصوتٍ يمتلئ نعسًا وإرهاقًا، فسألته:

- إنت ما روحتش كل ده؟!!

- لأ. مستني حد يعبرني من البحث الجنائي.

- طب أنا تقريبًا حطيت إيدي على خيط كده، فيه حاجة اسمها



«أثر الفتيل».

- مش فاهم!

- الكونتيسة اللي إنت قلت عليها دي ماتت بحاجة اسمها  
«الاحترق الذاتي البشري»؛ ظاهرة بتخلي الإنسان عامل زي  
الفتيل، يتحرق بشكل عمودي لكن ما يحرقش اللي...

تشاءب كالدُّب قائلًا:

- أنا مش فاهم حاجة!

- ما إنت بقالك يومين صاحي فأكيد مش هتفهم حاجة. بص،  
هاديك كام حاجة تسأل عنها بتوع البحث الجنائي وروّح نام وأنا  
هاكمل.

أمليتُه بضعة أسئلة وهو ينصت ويدوّن حتى تشاءب مجددًا  
بطريقة كادت تفقدني سمعي، وقال:

- ماشي. وإنت هتعمل إيه؟

- هاروح أقابل طه نفسه!





أظن أنه قد حان الوقت لأخبرك بالحقيقة الثالثة عن نفسي، شريطة أن تعدني بالألا تتعجل بالحكم عليّ بأني مُخرّف مخبول، وأن تكون صبورًا وتنصت إلى حدسك، فعلى الأقل إن لم تكون قصتي منطقية فهي حقيقية بلا شك.

في الثامنة من عمري، وهبني الله الحاسة السادسة.

أتذكر أن الأمر حدث خلال إجازة منتصف العام، عندما سافرنا إلى واحة سيوة، وقرر أبي أن نشاهد الشروق من فوق «جبل الموتى»، الذي تشاءمت أمي من اسمه، بينما تحمست نادية لرؤيته ودخول المقابر الفرعونية المتراسة عموديًا في باطنه على شكل خلية نحل مرعبة.

كان فجرًا باردًا، لكن الملابس الثقيلة التي حشنتني أمي بداخلها كانت كفيلة بتحصيني ضد تلك النسومات الخبيثة المتسللة إلى صدري.

وصلنا عند هذه الهضبة العالية التي سُميت جبلًا مجازًا، واقتربنا من الدرجات الحجرية لنبداً صعود الجبل المدهش، وبينما راح المرشد البدوي يتمتم بمعلومات عن اكتشاف هذه الجبانة الأثرية مصادفةً في أثناء الحرب العالمية الثانية، حيث احتفى فيها سكان الواحة من غارات الألمان، وعن الأسرات الفرعونية المدفونة بالمقابر، سمعت همسًا!

صوت أنثوي ناعم يناديني باسمي!



نظرت حولي فلم أجد سوى مجموعة من الأجانب المسنين  
يتمتعون بمنظر الواحة السحري من أعلى الجبل الصخري،  
فشعرت بالارتياح.

المكان يبدو مخيفًا؛ فتحات المقابر التي تخترق شكله  
المخروطي تشبه أفواهًا متلهفةً لابتلاع أجساد الموتى  
المحنطة! ازداد خوفي عندما قال المرشد إنه يُشاع أن جيوش  
قمبيز ملك الفرس، قد ابتلعها رمال هذا الجبل ولم يظهر لها  
أثر!

انشغلت أُمي متممةً بآية الكرسي كلما سمعت كلمة  
«موتى» أو «سحر» أو «مقبرة»، بينما كان أبي يشاهد المباني  
والبيوت البدوية الدقيقة المرصوفة أسفل الواحة ملتقطًا بعض  
الصور. وكانت شقيقتي تدوّن كل معلومة يلقيها المرشد ذو  
الجلباب الأبيض، وتقابلها بسيل من الأسئلة الدقيقة المفصلة.  
وحين تأكدت أنه ما من أحد يراقبني، تسللت من بينهم متتبعًا  
الصوت الأثوي الذي يناديني.

كان مصدر النداء فتحة مقبرة قريبة من السلالم، وقفت  
عند طرفها بينما أكمل أهلي صعود الدرجات طائنين أنني  
من خلفهم، لكنني بقيت أنظر إلى فتحة المقبرة التي لم أرَ  
فيها سوى ظلام يتخلله ضوء خافت يتراقص في زاوية قاعها  
القريب.

ملت لأستوضح مصدر الضوء، فانفلتت ساقي إلى داخل  
فتحة المقبرة، وكدت أسقط على وجهي لولا يد خفية تلقفتني،  
فسقطت على مؤخرتي عوضًا عن وجهي.



وفوق أرضية المقبرة المنخفضة تلفت حولي فلم أجد أحدًا، ولم أعر على مصدر الضوء الخافت الذي كان في الزاوية!

لا أحد سواي في هذه المقبرة الفرعونية ذات السقف المنخفض! نهضت ونفضت الرمال عني ثم بدأت أمعن نظري.

كانت المقبرة تشبه الكهف الصخري في أفلام الكارتون، خصوصًا أن جدرانها امتلأت بنقوش وصور لبشر برؤوس حيوانات أسفل شجرة مخيفة متشابكة الأغصان أذكر أن أمي أخبرتني أنها تُدعى شجرة «الجميز».

فكرت في كيفية التسلق نحو الفتحة كي أخرج من تلك المقبرة العجيبة، لكنني سمعت اسمي ثانية، فاتبعت ذاك الصوت العذب.

مشيت في دهليز مستطيل ضيق، وعلى الرغم من أنني وحيد في جوف ذلك الجبل الموحش فإن روح المغامرة دفعتني إلى الأمام، كأنني في أحد أفلام إنديانا جونز التي يجبرني قطز على مشاهدتها.

بهذا الحماس الصبياني، سرْتُ وضوء الفجر الخافت يتسلل من فجوات سقف الجبل فيضيء أجزاءً من طريقي، حتى سمعت بكاء أطفال وهمسات خافتة، ثم شعرت ببرودة مباغتة، وشممت رائحة مالحة غريبة، ورأيت منظرًا أكثر غرابة جعلني أتوقف وأراقب في صمت: مجموعة كبيرة من الأشخاص يرتدون جلابيب بدوية، يجلسون أرضًا متكومين في الزوايا، ملتصقين بالجدران الصخرية، يرتعشون ويحتضنون أبناءهم



ونساءهم في هلع، يتطلعون إلى أعلى مسترقين النظر إلى فجوات السقف الصخري التي تخترقها أصوات مخيفة تشبه أصوات الطائرات الحربية في الأفلام التي أشاهدها مع أبي عن حرب أكتوبر!

بُهتُ من عنف الدوي المقرب، وكأن الطائرات ستسقط فوق الجبل، لكن ضجيج المحركات قطعه سهيل خيل، فالتفت لأجد حصاناً أسود، ذيله مجدول، وشعره مقصوص، وعلى ظهره سرج أنيق دقيق التطريز، يمتطيه فارس يرتدي زياً حربياً معدنياً، وفي يده اليسرى راية مرفرفة عليها قرص شمس ذهبي، وفي اليمنى سيف صارم، وعلى رأسه خوذة ثقيلة تنتهي بريشة نعام بيضاء كبيرة.

شق الفارس المحارب الدهليز بحصانه، وعبر من خلال أجساد البدو الخائفين من الطائرات، فاهتزت صورتهم كصفحة بحيرة مضطربة أُلقي عليها حجر رشيق، ثم ثبتت الصورة ثانية دون أن يُظهروا أي تعبير أو ردة فعل.

لم يلتفتوا إلى الفارس وكأنه لم يعبر من خلالهم منذ لحظة، بل ظلوا يرتعدون وينظرون إلى فتحات الجبل كمن ينتظر الموت.

أخذت أراقب ممتطي الحصان الأسود الراكض بالجوار حتى أربني صياح غاضب، فاستدرت لأجد نفسي على مقربة من باب مقبرة أكثر أناقة ونظافة من تلك التي سقطت فيها.

وقفتُ عند مدخلها ونظرت إلى جدرانها المزينة برموز ملونة





باللون الأحمر، لكنني لم أهتم للنقوش الفرعونية، فقد تعلق  
عيناى بالأرض حيث يرقد تابوت حجري مغلق، خرج منه ملك  
فرعوني عاري الصدر يرتدي حليًا ذهبية من رأسه حتى قدميه.

لا، إنه لم يخرج من التابوت، لم يفتح غطاءه الموصد، بل  
عبر من خلال بابه الحجري؛ نفذ منه إلى الخارج، ثم وقف على  
مقربة مني ولم ينظر نحوي وكأنني غير موجود بالمرّة، ثم نظر  
حوله بعجرفة ورفع رأسه بغرور ومر من خلالي.

شعرت ببرودة مخيفة انتصبت لها كل شعرة في جسدي،  
وتضاعف خفقان قلبي، وتمكن الخوف من بسط سلطانه عليّ،  
فور أن عبر الملك من خلالي، لكنني شعرت فجأة بيدٍ فوق  
كتفي!

التفتُ لأجد شابة بدوية ترتدي ثوبًا أبيض ذا كُمين واسعين،  
مطرزًا تطريز ملابس بدو الواحة. كانت تحمل في يدها  
مصباحًا زيتيًا تتراقص فيه شعلة تعكس جمال ملامحها:  
بشرتها الرائقة، وعينيها الواسعتين، وأنفها الدقيق، وشفتيها  
المكتنزتين، ووجنتيها التفاحيتين، وشعرها الأسود المنسدل  
حتى خصرها.

اهتزت الحلي الفضية التي تغطي كفها، وراحت هي تبسم  
لي بحنان أذهب عن جسدي القشعريرة والبرودة اللتين خلّفهما  
الملك المغرور. وعندما كلمتني أدركت أنها صاحبة الصوت  
الذي يناديني منذ البداية.

- ما تخافش.





قالتها وهي تنظر حولها حيث البدو الخائفين من أصوات الطائرات، والملك الذي يمشي مزهوّاً، والفارس الذي يطوف بحصانه، ثم جثت على رُكبتها، لتهيمن على أنفي رائحة الليمون النضر التي فاحت منها حين اقتربت مني هامسة برفق: - لو رايد الأمان، شُق اللمونة يا إنسان، وانطق اسمك، بعد ذكر السلام.

لم أفهم شيئاً مما نطقته، لكنها فتحت قبضتها فرأيت فيها ليمونة صفراء كبيرة نضرة قدمتها لي بابتسامة مشجعة، فقبِلْتُ هديتها ببلاهة الأطفال، وحاولت أن أشقها كما أرشدتني.

قضمت جزءاً منها بأسناني، لأسهل عملية شقها نصفين، وفور أن شُقت نصفين، انبعثت رائحة الليمون اللاذعة، فالتفت كل الموجودين إليّ وكأنهم أدركوا وجودي للتوّ.

الملك والفارس المحارب والبدو الخائفون، جميعهم ثبتوا أنظارهم نحوي، فبدأت عصارة الليمونة تجف كأن روحاً خفية تمتصها، حتى تغيّر لونها من الأصفر إلى البني في ثوانٍ معدودة.

ربتت البدوية الجميلة على كتفي وهزت رأسها في رضا، فأكملت تنفيذ إرشاداتها، واتجهت بشجاعة صوب كل الموجودين، ورفعت رأسي قائلاً بفخر كالمنشدين في كورال المدرسة:

- السلام عليكم، أنا نوح الألفي.





ابتسموا جميعًا وهزوا رؤوسهم مجيبين في صوت واحد:

- وعليكم السلام!

غزا المكان ضوء كشاف قوي جعل أرواح المقبرة كلها تتلاشى تدريجيًا، حتى صاحبة الليمونة، ثم سمعت وقع أقدام يصاحبه صوت أمي تصرخ باكية، وأبي ينادي هلعًا:

- إنت فين يا نوح؟! يا نووووووح! نووووووح!

اختفى كل شيء عدا الليمونة التي ظلت في يدي، وعرفت يومها أن الليمون له فوائد أخرى غير محاربة «الإنفلونزا» ومعالجة داء «الإسقربوط»؛ إن رائحته تجذب الأرواح، لذلك أُبقي واحدة في جيبِي كلما أردت الاستعانة بروح هائمة.

منذ ذلك اليوم وأنا أشق الليمون، وألقي السلام، ثم أنطق اسمي كلما رأيت روحًا!

\* \* \*

بعد منتصف الليل اتجهت إلى ميدان طلعت حرب أمام العمارة رقم ٦، فاستوقفتني رؤية روح الطالبة التي دُبحت في سيارتها وتولى قضيتها صلاح الشبكي.

كانت شفافة كسائر الأرواح، ويمكنك الرؤية من خلالها، ترتدي الملابس نفسها التي قُتلت بها، وتظهر بعد يوم كامل من موتها في المكان نفسه الذي ماتت فيه.

كانت كمعظم الأرواح، لا تعلم أنها ميتة، فقد كانت تقف مكان سيارتها - التي تحفظ عليها فريق البحث الجنائي -





وتتلقت حولها في توتر، وكلما مر أحدهم بجوارها تذهب صوبه  
قائلة:

- لو سمحت، ما سُفتش عربيتي؟!!

لكنها لم تجد إجابة، لأنه ما من أحد يراها أو يسمعها، حتى  
إن شاباً متعجلاً عبر من خلالها دون أن ينتبه، فوقفت مشدوّهة  
تنظر إلى جسدها الشفاف في هلع.

قد يشعر بعض الأحياء بوجود روح تطوف من حولهم، حيث  
يشمون رائحةً مفاجئة لا مصدر لها، كرائحة الدخان القوي أو  
العطر النفاذ، أو يحسون بتغير مفاجئ وغير مبرر في درجة  
الحرارة، لكن أن يروا الأرواح بوضوح، فهذا أمرٌ يحتاج إلى  
عين أثيرية كالتّي حصلت عليها في جبل الموتى.

فيما يخص التعامل مع الأرواح، لديّ بضع قواعد:

### القاعدة الأولى

لا تتعامل إلا مع الروح التي يهّمك أمرها، لأن الأرواح الأخرى  
ستظل ملتصقة بك لكونك الوحيد القادر على رؤيتها، فهي  
تعاني الوحدة، ولن تدعك وشأنك، بل ربما طلبت منك طلبات  
سخيفة،

كأن توصل رسائل إلى ذوبها من الأحياء، أو أن تنتقم لها من  
قاتليها.

ولإيماني المطلق بتلك القاعدة، صفت سيارتي على جانب  
الطريق وتجاهلت روح الطالبة المذعورة الهائمة على وجهها.





صعدت داخل عمارة جروبي، فوقف عسكري يؤدي لي التحية، ثم طلبت منه أن يستدعي البوّاب.

أتى البوّاب لاهثًا، فسألته:

- طه كان تَخنان في الفترة اللي فاتت؟

- لا يا باشا، طول عمره رياضي، وجسمه ولا أجدعها شاب.

- طب كان بيشرّب؟

- قصدك منكر يعني؟ تصدق بالله، مع إنه كان كافر بس لا

كاس ولا سيجارة.

ازدادت الأمور تعقيدًا، فالكحول والتدخين وزيادة الوزن هي الأسباب الرئيسية للاحتراق الذاتي.

- يعني عمرك ما سُفته بيدخن، ولا حتى تفارّيح؟

- عمري يا باشا، أصل أبوه مات بالمرض الوحش من كُتر

السجاير، فكان خايف يموت زيه.

- طب كان بياخذ منوّم؟

- والله ما أعرف يا باشا. إنتلقيتوا اللي قتله؟

- وإنّ مالك! اخفى دلوقتٍ وما تطلعش غير لما أندهلك!

رحل البوّاب، ودخلت الشقة بحذر حتى وصلت إلى غرفة

النوم، وقد ترك فريق البحث الجنائي علامات في الغرفة،

أهمها علامة على مكان الكرسي الذي نُثر عليه رماده.



ارتديت القفاز الطبي حتى لا أُفسد موقع الجريمة، ثم نظرت إلى مكان الكرسي الذي كان يبعد عن السرير ببضعة سنتيمترات.

لو مد طه يده أو حتى رفع ساقه وهو يحترق للمس السرير وأحرقه بالكامل!

لِمَ لم ينهض عن كرسيه وبصرخ وبطلب النجدة عندما أدرك أنه يحترق؟

لو تحرك أو ترنح لاحتُرقت أجزاء من الأثاث، إن لم تكن الغرفة كلها!

في قضية ماري ريزر، كان سبب عدم طلبها النجدة من أحد أنها تناولت منومًا آخر إدراكها بأنها تحترق، حتى اختنقت بفعل الأدخنة السامة وماتت قبل أن تتحول إلى رماد منشور. لكن ماذا عن طه الذي لم يجد فريق البحث الجنائي دواءً منومًا أو مخدرًا بين أدويته الخاصة؟!

أخرجت الليمونة الصفراء من جيبى وداعتها مفكرًا.

إذا كانت ظاهرة الاحتراق الذاتي البشري حقيقية، وتأثير الفتيل الذي يصيب القليل يعني أنه يحترق عموديًا، فأدخنة النيران المتقدمة ستترك أثرًا على السقف فوق موقع الضحية، لكن السقف كان ناصع البياض تمامًا كباقي أثاث وجدران الغرفة!

الأمر لا يتوقف فقط عند كون الغرفة بأكملها لم تُمس، بل إن



سطح الكرسي نفسه أصيب بحرق طفيف، ولكن ما أسفله وما فوقه لم يُمسا بسوء!

إضافةً إلى أن لحم وجه طه لم يذوب، بل احترق جلده وطُمت معالمه فحسب، وهذا عكس ما يجب أن يحدث لمصابي هذه الظاهرة التي يبدو أنها لا تتماشى مع قضية طه ولا تناسب حالته، فكل من تُوفوا بتأثير الفتيل ماتوا مصادفةً، وليس بفعل فاعل ولا انتقامًا منهم!

طه لم يمت مصادفةً!

هناك من دبر له هذه الميته المُحكمة، أحدهم أراد أن يجعل منه عبرة.

\*\*\*

أخذت نفسًا عميقًا، وأخرجت السكين الصغير الذي أحضرته معي وشققت الليمونة بعناية، ثم أبقيت نصفها بيدي، ولففت الآخر في منديل وأعدته إلى جيبِي ومعه السكين.

خفت إضاءة الغرفة القوية، واكتفيت بضوء مصباح المنضدة، فالأرواح لا تتضح في الضوء الساطع أو الظلام القاتم. ولو كانت روح طه في شقته - وهي المكان الذي قُتل فيه - فستجذبها رائحة الليمون، وستعطيني الأمان وتسمح لي بمخاطبتها.

من المفترض أن تحل روحه على الأرض في اليوم التالي، في الساعة نفسها التي قُتل فيها، لكن متى ستظهر تحديدًا؟





توقفت عن الإفراط في التفكير، لأنه عند استقبال روح أحد الموتى يجب أن يكون الذهن صافيًا حتى لا تُشتت الروح التي تود التواصل معها وتخيفها فتهرب منك.

شعرت ببرودة خفيفة حين بدأت الليمونة تجف تدريجيًا، فنظرت حولي ببطء منتظرًا أن أرى طه. واشتدت البرودة مع تغيير لون الليمونة، ثم فاحت رائحة عطر قوي.

استحضرت ذهني، ولم أبعد عيني عن النقطة التي أنظر إليها، وتجاهلت تلك القشعريرة والرجفة الداخلية التي تتزايد حدتها، على الرغم من رؤيتي لمئات الأرواح سابقًا، لكنه الطيف الذي كلما اقترب مني، زادت نبضات قلبي.

بعد كل هذا المجهود البدني والذهني، وجدت روحًا غير التي انتظرتها! إنها روح الطالبة الضالة! وقفت في منتصف الغرفة وعلى وجهها علامات الدهول والتعجب، وأخذت تنظر إلى نصف الليمونة ثم إليّ ثم إلى الغرفة كلها.

بلعت ريقِي وكتمت غضبي، ربما يجب أن أظهار بأني لا أراها لكي ترحل، لكن أعينا التقت فقالت:

- إنت شايفني؟

لم أجبها، وتظاهرت بأني أتفحص السرير، فاقتربت مني قائلة:  
بإلحاح:

- يا أستاذ، حضرتك شايفني؟ يا أخينا، إنت سامعني؟

يا لحماقتي! لقد جذبت الروح الخطأ! لِمَ لم أفكر في أنها





تطوف في المكان وستنجذب كغيرها إلى رائحة الليمون؟!  
تجاهلتها، لكنها مدت يدها إلى ذراعي، فشعرت بكهرباء  
تسري في عروقي، فصحت بها:

- لا، لا، لا!

القاعدة الثانية

إياك أن تجعل روحًا تلمسك!

ابتسمت:

- يعني إنت شايفني!

القاعدة الثالثة

تحدث مع الأرواح باحترام، كأنهم أشخاص أحياء، وابدأ دائمًا  
بالسلام.

زفرت قائلاً:

- السلام عليكم، أنا نوح الألفي.

- وعليكم السلام، أنا بُشري. كنت بادور على عربيتي وبعدها  
شميت حاجة و...

- شميت ريحة الليمون.

- أنا عمري ما حبيت ريحته، بس مش عارفة ليه لقيت حاجة  
بتشدني إني أطلع العمارة وأدخل الشقة.

ثم نظرت حولها قائلة:





- أنا إزاي دخلت الشقة وبابها مقفول؟

خرجت إلى الصالة، وتأكدت أن الباب مغلق.

#### القاعدة الرابعة

أخبرهم بأنهم موتى بطريقة تدريجية حتى لا تربكهم.

- عدت من الباب وهو مقفول.

ضحكت وظنت أنني أمازحها، ثم قالت:

- إزاي يعني؟ أكيد ده حلم. أنا كنت بايته عند صاحبتى

بنداكر، وحلمت إنى ركبت عربيتى، وكان فيه حد قاعد ورا

دبحنى، وبعدها صحيت من الكابوس الفظيع ده. كان كابوس

مرعب أوي، كأنه...

- كأنه حقيقى.

هزت رأسها موافقة فأضفت:

- للأسف، هو فعلاً حقيقى.

ضحكت بالطريقة نفسها، وقالت:

- هو إيه اللي حقيقى؟!

- اللي شفتيه ما كانش كابوس. ده واقع.

صمتت لوهلة وكأنها تزن كلامى، ثم علقت مرتبكة:

- واقع إزاي يعني؟ إيه الهزار السخيف ده؟! إنت...

- أنا النقيب نوح الألفى، وأنا بنفسى شفت جتتك.





صاحت بكلمات متقطعة:

- جثة؟! يعني أنا... أنا ميتة؟ طب إزاي وإنت شايفني  
وتكلمني أهو؟!

- محدش غيري يقدر يسمعك ويكلمك.

- بس...

أخرجت النصف الآخر من الليمونة وبدلته بالنصف الذي جف  
منتظرًا ظهور روح طه في أي لحظة، لكن بشرى لم تتوقف عن  
الهديان:

- يعني أنا عفريتة؟

- إنتِ روح، طيف، لكن مش عفريتة. العفاريت كائنات تانية  
مستقلة بذاتها.

ظلت تحديق فيَّ وكأنني مخبول، ثم خرجت من الغرفة كما  
دخلتها، فزفرت بارتياح.

جلست على طرف السرير منتظرًا ظهور روح طه، لكن من  
الواضح أن السويجات التي نمتها في بيتي لم تكن كافية،  
فقد انتابني النعاس ثانية، ثم أتاني شعور بارد بأن هناك من  
يراقبني، ففتحت عيني بغتة لأجد روح بشرى جالسة بجواري،  
وعلى وجهها أمارات الكمد.

اعترفت لي منكسرة دون أن أسألها:

- محدش شايفني، الناس بتعدي مني فعلاً كأنني طيف.





فركت عيني، وعدلت جلستي، ثم تفقدت ساعتني. إنها الثالثة فجرًا.

تابعت بُشري كلامها متكدرة:

- هو أنا اتدبحت فعلاً زي ما سُفت في الحلم؟

نظرت إلى نصف الليمونة، لم يتغير لونه ولم يجف، وروح طه لم تظهر بعد.

- آه.

- ليه؟

- وأنا إيه اللي عرفني؟!

- مش بتقول إنك ظابط؟!

- أيوه، بس مش أنا اللي شغال على قضيتك.

- أومال مين؟ أنا عايزة أتكلم معاه دلوقتِ حالاً.

- محدش هيسمعك ولا هيشوفك.

- إשמعني إنت؟

- عشان رينا مديني حاسة مش عند غيري.

- الحاسة السادسة يعني؟ سوبر هيرو إنت؟!

- لا سوبر ولا زفت، أنا بس...

زفرت ثم أكملت على مضض:





- وقعت في المقابر وأنا صغير فطلعت باعرف أشوف الأرواح  
وباتكلم معاها ...

- اتلبست زي مسلسل «ساحرة الجنوب» كده؟

- أنا مش ملبوس! أنا باشوف وباسمع وباتكلم مع أرواح  
الميتين طول ما هما على الأرض وس. معنديش تفسير علمي  
أو منطقي للموضوع.

- قصدك إيه بطول ما هما على الأرض؟

- قصدي طول الأربعين يوم اللي بتتعدوهم على الأرض.

- وبعد كده بنروح فين؟

- بيقولوا بتطلعوا السما أو بتنزلوا القبر أو بتنتقلوا للبرزخ. ما  
أعرفش.

- والناس عارفين إنك بتشوف الأرواح وبيتعاملوا معاك عادي  
كده؟

- أسيب بقى القضية اللي ورايا وأقعد أحكيك قصة حياتي!  
أنا عندي شغل، ووجودك مشتتني. فرصة سعيدة.

- فرصة سعيدة؟! هو أنا قابلتك صدفة في ستارباكس يا عم  
إنت؟ أنا اتدبحت وبقيت روح، ومحدثش شايفني غيرك. رجلي  
على رجلك لحد ما أفهم أنا وضعي إيه.

تمت زافراً:

- بدأنا في شغل الستاكر الأمريكاني. يا ستي أنا مش





هافيدك في حاجة.

- لآ، هتفيدني. أنا عايزة أتطمئن على مامي وأخويا، وأعرف مين اللي قتلني، وقتلني ليه، و... .

- إنتِ جايلي أحققك أحلامك؟! أنا عندي قضية رأي عام معقدة أكثر من قضيتك ميت مرة.

- يعني أنا دمي يروح هدر عشان حضرتك ماسك قضية رأي عام؟! .

- معاليكي مش أنا اللي ماسك قضيتك. اتكلي على الله بقی.

- طب والله لو ما عملت اللي باقولك عليه لأعفرتك.

سألته ساخرًا:

- هتعفرتيني إزاي يعني يا ست الکتکوتة؟

- هاليسك.

- الجن والعماريت بس هما اللي بيلبسوا الإنسان.

- طب هاجنك ه... .

- خليني أوضحلك إنك روح ملهاش أي قوة فيزيائية. إنتِ ما

تقدر بش تشيلي حتى ورقة من على الأرض. ففكك خالص من

جوال «paranormal activity» ده.

ارتبكت وتراجعت، ثم همست:

- يعني أنا مليش أي قوة خارقة؟





- كبيرك تعدي من الباب وهو مقفول.

ظلت واقفة في مكانها وقد ثبتت نظارتها على أنفها، ثم أعادت خصلة شعر بُنية خلف أذنها وهي تفكر، بينما حاولت أنا الاتصال بقطز لكن هاتفه كان مغلقًا، حتى قالت هذه الروح اللحوحة:

- يمكن ما أقدرش أأذيك كروح، بس أقدر أبهدلك كبنت، وأفضل أزن في ودانك لحد ما تكره حياتك.

لم أجبها، فجلست بجواري على السرير، وصاحت بصوت حاد:

- مين اللي قتلني؟ ها؟ مين اللي قتلني؟ مين؟ مين؟ مين؟

البنات حتى وإن متن، لا يتخلين عن أعز ما يملكن: قدرتهن الخارقة على الزن.

أخرجت سماعاتي وأوصلتها بهاتفني، ثم شغلت الأغاني لينساب صوت حكيم إلى أذني: «طب الله الله الله الله الله الله الله، إيه ده إيه ده إيه ده إيه ده إيه ده».

أحبال حكيم الصوتية الخارقة غطت على صوت بُشرى الطنان، وقد رأيت الضيق على ملامحها، وبدأت تطوح بيديها في الهواء غاضبة، وتحاول أن تجذب السماعات أو تغلق الهاتف، لكن أصابعها الطيفية تمر من الأشياء كالهواء دون أن تستطيع إمساك أيٍّ منها، حتى أعادت فعلتها الأولى ووضعت كفها على كتفي، فغمرتني رجفة نتجت عنها برودة



وقشعريرة داخلية مباغته، فانتفضت صائحًا بعنف:

- إياكِ عملي كده تاني!

لو كنت في المنزل لأشعلت البخور وجعلتها تختنق وتفر بعيدًا من دخانه، لكن السخيفة ابتسمت ظافرة، فقلت لها:

- أنا باقولك بكل أدب، امشي، ورايا شغل.

- شغل إيه وإنت مريح على السرير وتلعب بلمونة بايظة و...

- مش موضوعك أنا باعمل إيه. أقولك على حاجة؟ روجي

اتظمني على أمك.

- اسمها مامتك.

- الست الوالدة، روجي شوفيه.

- ما هي مش هتشوفني.

- بس إنتِ هتشوفيه وتظمني عليها. يلاً انصرفي.

- طب أروح إزاي؟ مش هاقدر أمشي كل ده.

- ما إنتِ لو بطلتِ زن وصفيتِ دماغك وفكرتِ فيها بوضوح،

هتلاقي نفسك واقفة قدامها. مش كنتِ بتسأليني عن قوتك

الخارقة؟ يلاً يا ست السوبر هيرو روجي لمامي.

نظرت إليَّ بشك، لكنها أغمضت عينيها وظلت هكذا لبضع

دقائق حتى اختفت.

أتمنى من كل قلبي ألا تعود مجددًا.





أذن الفجر، وتخللت السماء الداكنة بضعة خيوط من النور الباهت، ولم تظهر روح طه بعد، على الرغم من أن الساعة تخطت الخامسة صباحًا.

كيف لم تظهر روحه بعد وقد تلقينا في تمام الساعة السابعة بلاغ بواب العمارة بأن طه ميت؟ من المفترض أن روحه رحلت عن جسده بعد منتصف الليل وفقًا لترتيب خط سيره وشهادة من رأوه في تلك الليلة الملعونة!

أين طيفك يا طه؟

- أنا شُفتها.

التفت لأجد بُشرى جالسة على طرف السرير حزينة ومهمومة:

- إيه اللي رجعتك؟

- مامي جاتلها جلطة!

بدأت تبكي مرتعشة:

- أنا طول عمري في حالي. مفيش في حياتي غير المذاكرة

والجامعة. مين اللي يخلي حد يدبحني ويقهر مامي كده؟!!

اللعنة على ضعفي أمام دموع النساء!

- ما تعيطيش طيب.

- ساعدني، وأنا أوعدك إنني هاحل عنك ومش هتشوفني تاني

أول ما أعرف مين اللي قتلني.



زفرت مستسلمًا لإلحاحها ونبرة الحاجة المستميتة في صوتها:

- ليكي أعداء؟

- لأطبعًا، ده أنا آخري أتخايق عشان درجة زيادة، ولأ مع حد مش شغال كويس في «البروجيكت»، ما توصلش لإن حد يقتلني كده.

- اللي قتلك ما يعرفكيش، أعتقد إنه قاتل مأجور.

- ومين اللي هيدفع فلوس لحد عشان يدبطني؟

- يمكن عدو لأبوك، مش لازم يبقى عدوك إنت.

- بابي مات ومامي حامل فيّ، مين العدو اللي هيقتلني بعد عشرين سنة من موته؟

- طب وماما؟

- مامي غلبانة وملهاش في أي حاجة.

- يمكن حاجة حصلت مثلًا أو...

- استحالة حد يكره مامي لدرجة إنه يقتلني بالطريقة البشعة دي!

- وأخوك؟

- متجوز روسية، وعایش في الغردقة، وفاتح أوتيل هناك من سنين.

صمتُ مفكرًا حتى سألتها:





- ليكي في السياسة أو المظاهرات أو... .

- مش بافهم فيها.

- طب احكي لي اللي حصل قبل ما تموتي بالتفصيل يمكن نلاقي خيط ونخلص.

- أنا كنت باذاكر عند وفاء، وكنت هابات عندها عشان نخلص «البروجيكت»، بعدها اتصلت بمامي أتطمئن عليها لكن ما ردتش لا على الموبايل ولا التلفون الأرضي، افكرت حصلها حاجة فاترعت ونزلت بسرعة للعربية و... .

- كانت الساعة كام لما نزلت؟

- حوالي واحدة ونص بالليل. جيت أفتح العربية لقيت المفتاح مش راضي يدخل والإنذار اشتغل، بصيت على اللوحة لقيتها عربية تانية راكنة قدام عربيتي شبهها أوي، ومن لهوجتي ما أخذتش بالي إنها مش بتاعتي. ركبت عربيتي، وخلعت الشنطة ورميتها جنبي، وفجأة لقيت الباب الخلفي بيتفتح وحد بيركب ورايا، كان لابس بدلة نايلون بيضا زي بتوع المناحل. شد رقبتني وأنا باحط المفتاح في الكونتاك، وكم بقي عشان ما أصرخش، ودبحني بسكينة غريبة زي اللي في الأفلام الأمريكي.

شبتك أصابعي قائلًا، وكان أذني لم تلتقطا سوى جملة واحدة مما أسهبت في وصفه:

- عربية نفس عربيتك بالظبط؟





- أيوه، نفس اللون والموديل.

- خدتي بالك من رقمها؟

- آه، كان أمي ٣٠١.

- أمك؟!!

- قصدي أم ي ٣٠١. أنا ذاكرتي فوتوغرافية وباحفظ الحاجة من أول بصة.

أخرجت هاتفي وبحثت عن رقم ضابط بالمرور كان في دفعتي، فقالت:

- بتعمل إيه؟

رفعت يدي في وجهها كي تصمت عندما أجابني زميلي:

- نوح باشا.

- وليد بيه، إيه أخبار السيطرة؟

- الأمن مستتب.

- باقولك، عايز أسأل عن عربية أم ي ٣٠١، محتاج اسم صاحبها وعنوانه.

- عيوني يا غالي. حبة وأكلمك.

أنهيت المكالمة ثم جريت الاتصال بقطر ثانية، لكن هاتفه ما زال مغلقاً.

قالت بشرى:





- صاحب العربية له علاقة بموتي؟

- غالبًا هو اللي كان مستهدف مش إنت. تلاقيها واحدة في حجمك وسنك ويتسوق نفس العربية، ومن حظك المهيب إنكم ركنتوا في نفس الحتة وفي نفس التوقيت، عشان كده اللي قتلك بعد ما دبحك ركز في وشك لقاء مش هو فهرب بسرعة ونسي الباب مفتوح و... .

صاحته بنبرة كادت تثقب طبلتي أذني:

- يعني إيه؟ أنا اتقتلت بالغلط! أنا... .

- هتفرق معاكي غلط ولأصح؟ إنت في الحالتين ميتة!

- طبعًا تفرق، لما أتدبح زي الخروف بدون ذنب يبقى حرام.

إنت لازم تقبض على اللي عمل كده، لازم!

رن الهاتف برقم وليد عطية، فأجبتته سريعًا:

- باشا.

- العربية بتاعة واحدة اسمها «شهرزاد محمد أحمد زكي»،

ساكنة في ٦ ميدان طلعت حرب.

- شكلها إيه الست دي؟ صورتها عاملة إزاي؟

- رفيعة وشعرها ناعم وعينيها خضرة، مُزة صغيرة كده.

- ألف شكر يا وليد.

التفت إلى بُشرى موضحة:

- صاحبة العربية شبهك. خيط القضية عندها.





- يبقى نروحلها و... .

- إنتِ كنتِ عايزة تعرفي مين اللي قتلك، وخلص آدينا عرفنا. صباحك مربي.

نظرت في اتجاه النافذة وقد عمّ ضوء الصباح بعد أن دقت الساعة السادسة والنصف، ثم التفت إلى نصف الليمونة الذي لم يُمس.

- خلاص، لو مش إنتِ اللي هتكمل القضية يبقى على الأقل عرّف الظابط اللي ماسك قضيتي المعلومات اللي عرفتها دي و... .

- ده على جثتي إني أساعد صلاح الشبكي عشان يحل قضية!

- حرام عليك! لو عندك أخت مدبوحة ترضى إنها... .

- قبل ما تكملني الأسطوانة اللي كلكم حافظينها دي، هاروح أقوله إيه؟ روح القتيلة اللي بتحقق في قضيتها طلعتلي وقالتلي فيه عربية بنفس... .

- خليه يسأل البوّاب، هو أول ما شافني جري يلمعلي العربية، ولما نزلت منها قالي لا مؤاخذة افكرتك مدام شهرزاد، قول للظابط ي... .

رن هاتفني ثانية، ولكن هذه المرة باسم قطز، فأجبت سريعًا عليها تتوقف عن الثرثرة:

- إنتِ فين كل ده؟!!



- أنا لسه داخل المكتب. تعالَ عشان فيه مستجدات مش هتصدقها.

- انجز يا قطز.

- كل اللي خلتني أسأل عنه في البحث الجنائي مش ملائم لموقع وظروف الجريمة. مفيش عضم للعمود الفقري، والجمجمة ما اتمدتتش من أثر الحرارة، ومفيش آثار دهنية على الكرسي، وخذ عندك المفاجأة...

- ها؟

- اللي على الكرسي ما كانش رماد طه. طلع أسمنت مخلوط بشوية حاجات.

\* \* \*

لم تظهر روح طه، وظلت روح بُشري تتبني مثرثرة عن ضرورة مساعدتها لإيجاد قاتلها، لكنني تجاهلتها حتى وصلت إلى القسم، حيث كان قطز في غرفة مكتبنا وسط مجموعة من الملفات والتقارير يشرب الكاكاو متثائبًا بصوت كالزئير.

دخلت وبصحتي روح بُشري التي ظلت واقفة أمامي واضعة يديها على خصرها معترضة على تجاهلي لها، لكنني وجهت كلامي لقطز على أي حال:

- أسمنت؟!!

أعطاني ملفًا كان مفتوحًا أمامه قائلًا:





- آدي نتايح المعمل. الراس والصواب يخصوصا طه، الباقي  
كله أسمنت.

فركت عيني المرهقتين:

- يعني جثة طه عبد اللطيف مش كاملة؟

علقت بشرى مستفهمة:

- طه عبد اللطيف بتاع جرنال «المعارف» مات؟

هزرت رأسي قائلاً:

- مات في نفس الليلة اللي إنت اتقتلت فيها.

نظر قطز حيث أنظر، لكنه لم يرَ روح بشرى، فهمس لي  
بتحفظ:

- إنت معاك ضيوف؟

أجبتة غير مبالٍ وأنا أقلب في ملف الأوراق العملية:

- البت اللي اتدبحت إمبراح.

نظر نحوها، وقال مبتسماً كالأبله:

- السلام عليكم.

سألتنى بشرى بحماس:

- هو كمان شايفني؟

أجبتها بفتور مغلقاً الملف:





- لآ. إنتِ تعرفي طه عبد اللطيف منين؟

- من التلفزيون، وعمري ما شُفته في الحقيقة غير إِمبارح.

أخيراً نطقت الثرثرة بمعلومة مفيدة!

انتبهت لها كلياً، وسألتها بتركيز:

- شُفته إِمبارح إمتى بالضبط؟ وفين؟

- شُفته لما...

صمتت قليلاً ثم ابتسمت بخبث:

- أنا ممكن أقولك كل حاجة بالتفصيل لو رُحت للظابط اللي

ماسك قضيتي وخليته يدور ورا شهرزاد دي ويقبض على اللي

قتلني.

زفرت متضايقاً:

- اللهم طوّلك يا روح.

تدخل قطز الذي لم يكن يسمع إلا جانباً واحداً من محادثتي

مع بُشرى - أي جانبي أنا - ثم همس لي بأدب لا أراه منه في

غير حضرة الأرواح:

- هي المرحومة محتاجة حاجة؟

- بتقول إنها شافت طه قبل ما يموت، ومش هتحكينا شافت

إيه غير لما أساعدها في قضيتها.

- عرفتھا إن المحروق صلاح هو اللي ماسك قضيتها مش

إحنا؟





- اتيلت قتلها! الهانم مصممة نديله المعلومات اللي عندنا  
عشان...

- معلومات إيه اللي عندنا؟ ما إحنا قاعدين زي خيبتها أهو!  
قصت عليه ما عرفته عن السيارة المطابقة وحكاية  
شهرزاد، فقال قطز بحنانه الجياش:

- طب ما تساعدنا يا نوح! كده اللي اسمها شهرزاد دي  
معرضة للقتل. حرام!

قالت بُشرى موبخة إياي:

- شايف الناس اللي بتحس؟

- خلاص يا قطز، روح إنت لصلاح وقُله.

سحبت ورقة بيضاء كتبت عليها اسم شهرزاد وعنوانها  
كاملاً:

- اديله الورقة دي.

- طب ولو سألني عرفت منين؟

- قُله كنت معدي عند العمارة الصبح لقيت عربية بنفس  
المواصفات، وسألت البوّاب قالي اسم صاحبها. خلينا نخلص  
بقي ونشوف شغلنا!

خرج قطز مسرعًا، بينما شبكت أصابعي مركزًا نظري على  
بُشرى وأنا أقول لها:

- اتفضلي ارغي. شُفتيه فين؟





- شُفته مرتين، الأولى لما كنت باركن عند بيت وفاء وكان هو نازل من عمارة جروبي وبيتكلم في التلفون، وبعد كده شُفته تاني وأنا نازلة بالليل و... .

- المرّة الثانية كانت الساعة كام بالضبط؟

- قبل ما أتقتل على طول، يعني على واحدة ونص كده بعد نص الليل. كان نازل من نفس العمارة وبرضو بيتكلم في التلفون.

حدقت أمامي للحظة.

البوّاب قال إن طه رجع من المقهى في تمام الحادية عشرة، وفي منتصف الليل خرج البوّاب ليجلس على المقهى، وُشرى رأت طه قبل مقتلها بدقائق، أي حوالي الساعة الواحدة والنصف بعد منتصف الليل، وكان خارجًا من العمارة ويتحدث في التلفون و... .

التلفون!

كيف لم أفكر في تتبع موقع المكالمات واكتفيت بالأرقام المسجلة والرسائل النصية؟!

بحثت بين أكوام الأوراق فوق مكتب قطز، لكن عودته إلى الغرفة قطعت بحثي، وإذ به يقول:

- اتأخرنا! شهرزاد ماتت خلاص!

وضعت بُشرى يديها على فمها مصدومة، بينما أضاف قطز:





- طلعت واحدة لا مؤاخذة، صوّرت نفسها مع رجل أعمال في وضع مُخل، وبدأت تبتزّه، والباشا متجوز بنت وزير مهم، فبعت واحد يقتلها، فقتل الأنسة بُشرى بالغلط، ولما حب يصلح غلطته، استدرج شهرزاد لشقة في المعادي وقتلها، بس حظه إنها صوّتت والجيران اتلموا ولحقوا القاتل قبل ما يهرب.

التفت إلى بُشرى متنفسًا الصعداء لأنني سأُخلص منها كليًا:

- ها؟ خلاص؟ اتبطين؟

قالت بُشرى بفتور:

- يعني قبضوا عليه؟

- ما بيقولك لحقوه قبل ما يهرب.

التفت إلى قطز:

- ماتت إمتي؟

- في الفجر. والواد اعترف من أول قلم، وجوز بنت الوزير ده بيتحقق معاه في النيابة. صلاح ما كانش مقتنع إن فيه ربط بين الجريمتين، بس لما لقي إن عنوان شهرزاد ٦ ميدان طلعت حرب، وطلعت مأجرة أوضة في بنسيون مع مجموعة من البنات اللي زيها، واتأكد من ملفها في الآداب وقلّب الموضوع في دماغه، لقي فعلاً إن اللي قتل الاتنين واحد، خصوصاً إن شهرزاد اتدبحت بنفس الطريقة، وعلى تلفونها الفيديو اللي ابتزت بيه ال...



- ابتزته؟! -

صمت قليلاً ثم قلت بسرعة:

- هات سجل مكالمات طه.

انتشل ورقة من بين عشرات الأوراق المنثورة فوق مكتبه، ثم أعطها لي قائلاً:

- بتفكر في إيه؟

- استنى.

وجدت رقمًا غريبًا اتصل بطه في تمام الساعة السادسة، ثم رقمًا آخر كلمه ثلاث مرات، وكل مكالمه استغرقت قرابة الدقيقتين ما بين الساعة الواحدة بعد منتصف الليل وحتى الثانية والرابع.

- سُفلي يا قطز صاحب الرقم ده.

- ودي برضو تفوتني؟ ده رقم من اللي بيتباعوا على الرصيف، وبعث حد يدور على صاحبه و...

- مش مهم صاحبه، أنا عايز بتوع جهاز الاتصالات يحددوا الرقم ده كلم طه منين بالضبط.

- ماشي.

أجرى قطز اتصالاً طلب فيه تحديد موقع تلك المكالمه بالقمر الصناعي، ثم التفت إليّ فبادرته بسؤال آخر قبل أن يعلق على أي شيء:



- لقيتوا إيه على اللابتوب بتاعه؟

- ولا حاجة، مقالات وأبحاث فلسفية وكتب عن الإلحاد.

اقتربت من مكتب قطز بالكرسي حتى التصقت ركبتاي بمقدمته الخشبية، وأخذت أنطق بالأفكار المتدفقة من عقلي، قائلاً في حماس:

- لو حطينا كلمة «الله أكبر» اللي على الحيطه، وإلحاد طه، على جنب، تفتكر اتقتل ليه؟

شاركتنا بشرى في الحوار لتدلي بدلوها قائلة:

- يمكن حد عايز ينتقم منه.

أضفت معلقاً:

- أو حد عايز يسكتنه.

قال قطز ليشاركني في حالة العصف الذهني تلك:

- يسكتنه ليه؟ طه ما كانش بيتكلم في السياسة ولا

الاقتصاد، يعني مش مناضل و... .

- بس ممكن يبقى بيتنز.

صمت قطز لوهلة حتى نطق أخيراً:

- بتفكر في إيه؟

- الأظرف اللي كان بيسلمها ويستلمها! طه ممكن يكون زي

شهرزاد، بيمسك صور أو فيديوهات أو ملفات أو حاجة يساوم

صاحبها عليها. يمكن كان ذكي فخلي سعره حنين عشان



كده الكل بيدفع، يسلمه ظرف فيه فلوس ويستلم ظرف فيه مصيبتة، وكان بيختار مكان في العن عشان يبقى في الأمان، بس فيه واحد رفض يدفع.

- حد ما قدرش على التمن اللي طه طالبه؟

- أو حد مش واثق في إن الفلوس هتسكّط طه، حد عرف يستدرجه لمكان مقطوع، عشان كده ما لقيتش روحه في بيته.

خبطت على المكتب بخفة متممًا:

- أنا إزاي غبي كده؟! طه ما اتقتلش في بيته من الأساس. قطعوا راسه وكفه وعملوا المسرحية دي عشان نتلهي و...

قاطعني رنين تلفون المكتب، فرغ قطز السماعة وأخذ ما أراد من معلومات ثم أنهى المكالمة، وقال لي:

- مصدر المكالمة المنطقة الصناعية في التبين.

- التبين؟!!

أخيرًا اتضحت الرؤية.





في بعض الأحيان يجب أن تغلق عينيك كي ترى بوضوح.

داعبتُ الليمونة مفكرًا ومتصورًا المشهد بشكل منطقي.

طه ابتز شخصًا مهمًا، فقام هذا الشخص بمجاراته، وأكد عليه أنه سيدفع له المبلغ كاملاً، ثم استدرجه بعد أن كلمه ثلاث مرات بين الساعة الواحدة بعد منتصف الليل وحتى الثانية والربع ليصف له العنوان الذي سيقابله فيه.

وصل طه إلى المكان المحدد، فنحروا عنقه، وقطعوا كفه التي يلبس فيها خاتمًا مميزًا، ثم أخذوا مفاتيح شقته، ووضعوا الرأس والكف بعد أن حرقوهما في حقيبة داكنة يصعب معها اكتشاف الأمر، واتجه القاتل (وهو في الغالب أحد رجال الشخص الذي ابتزه طه) إلى العمارة ثم دخل الشقة من بابها، فأحرق الكرسي بشكل سطحي ثم أطفأه (ربما ببطانية كانت معه)، وربما يكون قد أحضر معه كرسيًا محروقًا لم يكن في بيت طه من الأساس، ووضع عليه رأس طه وكفه وكأنه كان جالسًا على ذلك الكرسي، ونثر عليه الأسمنت الذي يبدو بالفعل كرماد جسد محترق، ثم كتب على الحائط «الله أكبر» ليلصق الجريمة بأحد المتدينين المخالفين لظه ممن يعيبون عليه إلحاده، وليجعل منا أضحوكة، وليجعل الجميع يؤمنون بفكرة العقاب السماوي الذي أهلك الكافر. وقد نجح بالفعل.

لم يشتتنا ويجعلنا نبحث في دائرة أعداء طه من المتدينين فحسب، بل إنه جعلنا نبحث عن أدلة في نطاق منزله فقط،



وعلى الصعيد الآخر جرى التخلص من باقي جسد طه.

وبما أن مصدر المكالمة المنطقة الصناعية في التبين، فعملية القتل تمت هناك. ويبدو أن أسلوب الحرق يستهوي القاتل، نظرًا إلى طريقة حرق الرأس والكف ونثر الرماد المزعوم. وإذا ربطنا بين موقف منصور الباز السابق مع طه، وكونه صاحب مصانع للحديد والصلب في التبين، فغالبًا جرى التخلص من جثة طه في أحد أفران المصانع التي يمتلكها منصور، في درجة حرارة لا تقل عن ١٥٠٠ درجة مئوية.

علّق قطز:

- إنت بتشك في منصور رغم إن الجرسون قال إنه هو وطه كانوا ييفطروا ويبضحكوا؟

- شُفها كده من الزاوية دي، طه ماسك حاجة على منصور، فقام واخده على حجره وضحك وهزار عشان ما يبقاش موضع شك، بعدها استدرجه لمكان مصنعه، ده المكان الوحيد اللي ممكن حد يتعرض فيه لدرجة الحرارة العالية دي بدون ما يثير الشكوك.

تمتم قطز مسترجعًا معلومة قرأها في موسوعة ما:

- درجة حرارة انصهار الحديد ١٥٠٠ درجة مئوية، والجسم محتاج ١٥٠٠ درجة عشان يتحول لرماد، يعني هو اتخلص من جثة طه هناك، لكن طبعًا ما قدرش يلم الرماد فراح عمل الحركة بتاعة الأسمنت، بس احتفظ براس طه وكفه عشان لو طلعتنا وقلنا للناس إن ده أسمنت مش رماد هيقولوك ربنا خفي



جسمه وساب راسه وكفه عشان يبقى عبرة.

- لعبها صح ابن الصايعة وسوحننا عشان ندور ورا المتدينين  
ويبقوا هما بس اللي موضع شك، لكن في الحقيقة طه ما  
ماتش عشان ملحد، مات عشان مبتز.

- ابتز منصور الباز بقى بايه؟

- طه اللي هيقولنا.

\* \* \*

ظلنا حتى الساعة الواحدة فجراً نبحث عن أي دليل أو  
معلومة تُتخذ ضد منصور الباز، لكنه مثل الأخطبوط، له ذراع  
في كل مكان وركن وزاوية. هو كسائر قادة عصرنا، حرباء  
تتلون بلون كل سلطة، وتتقرب من أصحاب المناصب والنفوذ.  
في عهد مبارك لعب الاسكواش، وفي عهد الثورة لبس حفاظة  
ونكش شعره، وفي عهد مرسي حمل المسبحة والسواك،  
وسقوط حكم الإخوان حلق ذقنه وجمع التبرعات لصندوق تحيا  
مصر.

لا أعلم ما الذي يجعله يتخلص من طه بهذه الطريقة المبالغ  
في إتقانها. لو كان طه يمسك عليه ملفات فساد أو رشوة،  
فهذا ليس بالأمر الجلل في هذا الزمن الذي يُعد فيه المرتشون  
ضحية للفقير، والفاسدون ضحية للجهل، والناس ينسون،  
والحكومات تغفل.

الأمر أكبر من هذا. لا بد أن الدافع شخصي بحت!





استغرق الأمر ساعة حتى وصلت إلى منطقة التبين، وبينما كنت أقود في الظلام، إذا بشبح على جانب الطريق الصحراوي على بُعد خمسة كيلومترات من مصنع منصور الباز للحديد والصلب: رجل نحيف، قصير القامة، يبدو في منتصف الخمسينيات، يرتدي معطفًا فوق قميص أزرق أنيق، يمشي مطأطئ الرأس، واضعًا يديه خلف ظهره، وينظر إلى الأرض ثم إلى السيارات المارة، فتوقفتُ.

كان هو، طه عبد اللطيف، بشعره المنكوش، وعينه الواسعتين، تمامًا كما في الصور.

أوقفت السيارة جانبًا، ونزلت منها متجهًا نحوه.

الآن حان موعد آخر قاعدة:

### القاعدة الخامسة

ضع سماعة بلوتوث في أذنك عند التحدث مع إحدى الأرواح علنًا، حتى لا يظنك الناس مجنونًا.

- السلام عليكم، أنا نوح الألفي.

صوب إليّ نظراته قائلًا بابتسامة ساخرة:

- وعليكم السلام يا سيدي. إنت ميت إنت كمان؟

يبدو أن روحه أذكى من الباقين؛ لقد فهم بمفرده أنه روح تُوفِّي صاحبها.



- أنا النقيب اللي بيحقق في قضية قتلك.

سألني بفتور:

- قبضتوا على منصور ولا لسه؟

- اديني دليل إدانته وأنا أقبضلك عليه النهارده قبل بكرة.

- هتلاقي الصور في شقة باب اللوق. دي الشقة اللي ورثتها

عن أخويا من عشر سنين، ومحدث يعرف عنوانها غيري.

هتلاقي سرير نحاس تحته خزنة فيها صور وملفات تخص كل

أوساخ البلد. كلمة السر ٥٨٩١.

- ومن بين كل أوساخ البلد اللي ابتزتهم، إشمعنى منصور هو

اللي قتلك؟

- عشان أنا اتغربت وافكرته زيه زي غيره. منصور ما كانش

يصح يتلعب معاه.

- ليه؟!

تمشى ببالي رائق كأنه في حديقة الفسطاط، ثم نظر إلى

السماء وقال متنهذا:

- لأنه مش هيسمح لحد يعيش بالسر اللي أعرفه عنه. الشواذ

اللي منصور بيهاجمهم، هو واحد منهم. قال يعني لو هاجمهم

محدث هيشك فيه! أنا عارف الكلام ده من أيام ما كان جار

مراتي في نيس. كنت ماسك عليه صور من قبل الثورة، بس

قلت بلاش أفصح الراجل، كل واحد حر، لكن هو اللي بدأ، طلع

في التلفزيون واستفزني وهاجمني وسبني. بعد ما الحلقة



خلصت بعتله من تلفوني السري عينة من الصور إياها. قابلته  
وقلته المبلغ المطلوب، وهو عمل نفسه مش عايز شوشرة  
وأخدها ضحك وهزار، وقال يعني هيدفعلي اللي أطلبه وزيادة.  
الخبيث خدني على حجره وقتلني، وخذ الصور والموبايل، بس  
على مين! أنا معايا نسخة من كل حاجة. هتلاقي في الخزنة  
صور تودي كل الطراير دول في داهية: اللي بتدعي الفضيلة  
وهي بتدير شبكة دعارة، واللي بيخطب في المساجد وهو رائد  
تجارة جهاد النكاح، واللي بينادي بحقوق الغلابة وهو مرتشي،  
واللي بيصرخ من الإهمال الصحي وهو أكبر مستورد للأطعمة  
المسرطنة، واللي بيع أعضاء أولاد الشوارع، والفساد  
والحرامي والمتآمر...

- والمبتز؟

ابتسم متهكمًا، ثم قال بغرور:

- أنا أشرف فاسد. أنا لا آذيت، ولا افتريت، ولا اتبليت على  
حد. لو كانوا شرفاء ومستقيمين ما كانش حد مسك عليهم  
حاجة، وأنا...

- وإنت عرفت فسادهم وسكت. ما أظنش إن ده يخليك أحسن  
منهم.

ضحك ساخرًا، ثم قال:

- طب آديك إنت كمان عرفت، وربي هتعمل إيه.

\*\*\*



ما وجدته في هذه الخزانة الصغيرة، فتيل قادر على حرق دولة  
بأكملها!

وثائق وصور منذ تسعينيات القرن المنصرم، كفيلة بحبس  
أصحابها سنوات لا تُحصى! منهم من مات، ومنهم من هاجر،  
ومنهم من هو قادر على قطع السنة الجميع وإلزامهم الصمت!

قُدِّمت الملفات جميعها إلى النيابة، وجرى التحقيق مع  
منصور الباز، ولم أرَ روح طه مجددًا، لعلها لا تزال تحوم في  
طريق التبين متأملةً النجوم ومتنهدةً، وتحدث نفسها متفلسفةً.

لقد مات طه فعلًا بتأثير الفتيل، لكن ليس الفتيل الذي يخص  
الموت بظاهرة الاحتراق الذاتي البشري، بل فتيل الابتزاز الذي  
أشعله ولم يكن يعلم تبعات نيرانه.

\* \* \*

استيقظت شاعرًا بالبرودة ثانية، فوجدت «روي» كلب جدي  
ينبح صوب روح بُشري الواقعة في غرفتي مندهشة متسائلة:

- الكلب ده بيهو هو ناحيتي كل ما أدخل! هو شايفني؟

همست بصوت ناعس:

- خديه واطلعي بره.

زفرت وانقلبت على جانبي واضعًا الوسادة على رأسي،  
لكنها حلقت فوق الفراش ووثبت لتواجهني قائلة:

- كلمني زي ما باكلمك!





- اللهم طولك يا روح! آه يا ستي، الكلاب والققط والرُضع  
بيشوفوا الأرواح، سييني أنام بقى.

قطبت جبينها وعقدت ذراعيها وزمت شفيتها لثوانٍ، ثم  
صاحت غاضبة كعادتها:

- إنت شايف إن ده عدل؟!

- هو أنا اللي هاختار مين يشوف الأرواح ومين لأ؟!

- مش قصدي. عرفت إن اللي قتل شهرزاد اتعاقب بتهمة  
قتلها هي بس؟ ما ربطوش بين قضيتي وقضيتها! الظابط  
صلاح ده فاشل و...

- يعني ربطوا قضيتك ولأ ما ربطوهاش، في الحالتين الراجل  
هيتعدم مرّة واحدة.

- إنت إزاي بارد كده؟! إنت مش دورك إن العدالة تاخذ  
مجراها؟

تمتت ورأسي أسفل الوسادة:

- أنا دوري أكشف الحقيقة وس. العدالة دي بتاعة النيابة  
والقضاء.

- يعني إيه الكلام ده؟ أنا...

نهضت صائحًا:

- إنت فاضية ومش لاقية حاجة تعملها، صح؟ ما ترجعي  
لأمك!



- باسل أخذها معاه الغردقة. كده أحسن.

- الأحسن بقى إنك تسيبيني أنام دلوقت.

انقلبت على جانبي الآخر، ورفعت الغطاء حتى وجهي،  
وكدت أن أغفو ثانية، لكنها اقتربت وقالت بضحكة بلهاء:

- تعرف إنك بتنام بعين نص مفتوحة وثقك بيبقى مدلدل؟  
شكلك أهبل أوي!

اللعنة على حالة العين الأرنبية الليلية التي تجعلني أنام  
بعين مفتوحة كالذئب!

أزحت الغطاء عني، ثم جلست في سريري، وفركت عيني  
بيد، والتقطت سجائري وولاعتي باليد الأخرى من فوق الطاولة  
المجاورة للفراش.

- هتشرب سجائر على الريق كده؟

- هو إنتِ والدتي؟!

- صحيح، هما فين مامتك وباباك؟

- بابا مات شهيد. كان بيلاحق مجموعة من تجار الهيروين  
وقتلوه.

- الله يرحمه. طب ومامتك؟ أنا مش باشوف غير جدتك  
وأختك بس.

- ده إنتِ بقيتِ مقيمة وحافضة العيلة بقى!

- أومال يعني هافضل أربعين يوم لوحدي باعمل إيه؟









- لآ طبعآ؁ ماما أول ما قتلها على اللي شفته في المقبرة عملتي طاسة الخضة.

- طاسة إيه؟!

- طاسة الخضة. أصل حياة المصريين فيها ٢٧٤ خرافة؁ الحمد لله أمي حافظاها وتتطبقتها كلها من أول رش الملح والخرزة الزرقة لحد فك الأعمال وتسخير الجن السفلي.

أطفأت سيجارتي بعد أن نفخت أنفاسها الأخيرة؁ ثم أردفت موضحًا:

- وطاسة الخضة دي يا ستي عشان لو ابنك الحيلة اتخض ولأ اتفزع من حاجة؁ تجيبها وتمليها ميه وتبيتها تحت ضوء القمر وتشرّبها للمحروس الصبح.

- بس ما دام مامتك ليها في الحاجات دي؁ يبقى أكيد صدقتك.

- هي صدقت. صدقت إن ابنها لبسه جن؁ وطافت بيه على كل الدجالين اللي تعرفهم؁ اللي يديها حاجات غريبة تلبعها له؁ واللي يقولها حميه بميه وملح وعين العفريت؁ واللي يقولها عليه جن مش هيطلع غير بالضرب و...

- بالضرب؟!

ضحكت بمرارة قائلاً:

- ده أنا شفت أيام سودة!

- هي مامتك إزاي بتؤمن بالكلام ده؟ هي تعليمها على قده؟





أجبتها ساخرًا:

- أُمِّي أستاذ الغدد الصماء في القصر العيني.

فتحت جدتي الباب بلا استئذان، ودخلت فجأة وهي تقول  
بنبرة صارمة لا تناسب قناع الزبادي بالعسل الذي طمس  
ملامحها:

- فيه حد معاك يا نوح، ولأ إنت خلاص اتجننت وبقيت بتكلم  
نفسك؟!!

- معايا حد يا سونة.

نظرت حولها تطوق الغرفة ببصرها، ثم علقت بفتور:

- طب خلي الحد ده يستنى، وبلاّ عشان الفطار.

خرجت يتبعها حفيف رداء نومها الصوفي، وأغلقت الباب  
خلفها، فعلقت بشرى:

- إشمعنى جدتك اللي مستوعبة الموضوع عادي؟

- الأول كانت فاكرة إنها حالة نفسية جاتلي عشان قعدت  
لوحدني في المقبرة، بس لما بابا مات وأنا صغير شُفت روحه  
وكلمته، وهو جالها في الحلم و...

- هو إحنا نقدر نطلع في الحلم؟

- للناس اللي بتحبوهم بس. بابا طلع لجدتي وقالها إني مش  
عيان ومش كداب، قالها ابني ربنا مديله نعمة مش عند غيره.  
ومن ساعتها وهي بتدافع عني ويتقف لماما. بس كده كده أنا





كنت وصلت لمرحلة كدبت فيها على ماما وعلى نادية وقتلتهم  
إني بطلت أشوف أي حاجة عشان أخلص من وجع الدماغ ده  
كله.

- هي نادية برضو تفكيرها زي مامتك؟

- لآ، نادية مش بتؤمن بالخرافات والأعمال والدجل زي  
ماما، لكن برضو مش مقتنعة بإن فيه حاجة اسمها أرواح نقدر  
نشوفها. ما كانتش بتعاملني على إني ملبوس على قد ما  
بتعاملني على إني بافبرك الحكايات دي عشان ألفت الانتباه  
ليّ، وكان دي طريقتي في التعبير عن حزني على بابا، وفقداني  
لاهتمامه بيّ بعد موته. بس الكلام ده كله كان زمان، دلوقتِ  
أنا باعرف أحتفظ بأرواحي لنفسي، وما باحكيش لحد على  
اللي باشوفه، غير قفز وجدتي عند اللزوم.

انبعث صوت جدتي في نفاذ صبر من المطبخ:

- نووووووح! لو ما جيتش هاخلص مربى التوت كلها.

- جاي يا سونة.

نهضت من سريري، فقالت بُشري:

- مش هتكملي باقي قصتك؟

- هافطر وأجيلك، معلش أصل لما مربى التوت تنادينني لازم  
ألبي.

قد أظاهر بالضيق والانزعاج، لكنني أحب التحدث مع أرواح  
الموتى، فهي وحدها التي تفهم ما لا يقدر الأحياء على





استيعابه.





## القضية الثانية

### كريم كراميل

١

أصبحت تالا الصغيرة صاحبة الضفيرتين كالمدمن الخطر.

فور أن وصلت شقة نادية، فتحت ذات الأعوام الخمسة الباب، وجذبتني من يدي بحماس المجانين إلى غرفتها التي تمتلئ حوائطها الوردية بملصقات الباليرينات النحيفات، ثم همست لي وهي تتلفت حولها كاللصوص:

- جبت الحاجة؟

أخرجت من جيبى السكاكر التي تعشقها ولوح شوكولاتة كبير، فابتسمت كاشفة عن غمازتيها الملائكيتين ثم قبّلتني، فقلت لها:

- هتخبي الحاجات دي فين يا زردة؟

- في الدبدوب.

اتجهت صوب دمية دب كبير، وفتحت السَّحَاب الخلفي للدمية ثم دفست السكاكر وسط القطن المنفوش، وأعدت غلق السَّحَاب قائلة:

- إوعى تقول حاجة لمامي!

- عيب عليك، هو أنا تلميذ.





فتحت نادبة الباب بغتة كالمخبر الغشيم، فراحت تالا تعانق  
دميتها تلقائياً حتى لا تشك بها والدتها، لكن نادبة نظرت إلى  
كلينا من خلف نظارتها الكبيرة قائلة بنبرة شك وارتياب:

- بتعملوا إيه؟

أسرعت تالا مجيبة ببراءة كاذبة:

- كنت باورِّي نوح دبديوي الجديد.

- وهو ده وقته؟ يلاً، الغدا جاهز.

\* \* \*

في الغالب، لا تدعوني نادبة إلى الغداء إلا إذا كانت تحضر  
رواية بوليسية جديدة مع زوجها، وتود الحصول على معلومات  
أو تعديلات تقنية تخص أسلوب المباحث.

وقد كان ما توقعته، فبعد أن أكلنا الطعام المحروق جزئياً،  
واحتسينا الشورية اللاذعة ذات الملح الزائد، وضربت نادبة  
التوأمين اللذين نعنا طهيها بـ«القرف» فبصقا ما أكلاه على  
السجادة الجديدة، وتدمرت تالا من طعم السبانخ الذي أقسمت  
مراراً وتكراراً أنها تمقتة حتى النخاع، وتبع ذلك تجاهل طارق  
للزيت المتقطر من جناح الدجاجة المحمرة التي يأكلها؛ لملمت  
نادبة الأطباق، واحتجزتني مع زوجها في غرفة السفارة بعد أن  
أعدت ثلاثة أكواب من القرفة بالحليب التي أقبل عليها طارق  
بينما قلت لها وهي تناولني كوباً:

- ما باحبش القرفة.





- دي مفيدة جدًا. اشرب، اشرب.

- هو أنا عيل من عيالك عشان تشريني بالعافية؟!

رمقتني رافعة حاجبها الأيمن ومغلقة عينها اليسرى وقد اتسع ثقبا أنفها وكادت أن تُخرج نيرانًا من فمها كالتنين المجنح، فأثرت السلامة وسلكت مسلك طارق:

- حاضر.

أخذت كوب القرفة الساخن فابتسمت برضا، وراقبتني كمن ينتظر ضحيته لتبتلع السم:

- ها؟ حلوة؟

- إنتِ أكيد مش جايباني عشان أقولك رأيي في القرفة باللبن اللي إنتِ وجوزك بتضربوها حقن دي! انجزي عشان عندي شغل.

- عندك حق.

سحبت الكوب من يدي قائلة:

- خلينا نوفر الوقت. أنا وطارق عايزينك...

قاطعتها ضجرًا مكملًا جملتها المبتدلة والمعهودة في كل عام قبل اقتراب موعد معرض القاهرة الدولي للكتاب:

- تبص على اللي إحنا كاتبينه. وريني يا أختي.

فتحت حاسوبها المحمول ووضعتة أمامي على نص من أربعين صفحة، فقلت:



- أنا هاقرأ كل ده؟!!

- لآ، الحتى دي بس.

حددت لي خمس صفحات عن ضابط في المباحث الجنائية يتفحص موقع الجريمة، وقد امتلأ المشهد بالأخطاء التي يقع فيها مخرجو السينما ومؤلفو الروايات البوليسية، فعلقت قائلاً:

- أنا فاهم إن قصدكم تطلعوا الضابط رِوش، بس محدش بيولع سجائر ويرمي الطفي على السجادة في موقع الجريمة، ولا بيقلب في الجثة كده، وما بنلمسش أي حاجة في الشقة من غير جواني وتحت نظر الطب الشرعي. كده موقع الجريمة اتلوث وبصمات الضابط بقت في كل حته.

قال طارق:

- على فكرة، أنا قتلها كده بس هي...

أخرسته نظرة نادية المرعبة التي حدجته بها، فبلع لسانه حفاظاً على سلامته، بينما سألتني:

- طب فيه إيه تاني؟

- مش بنحرك أي دليل إلا لما يتصور في المكان اللي لقيناه فيه، ولو أدلة بيولوجية مش بنحطها في كيس بلاستيك عشان يعمل رطوبة ممكن تبوظ الدليل، النوعية دي من الأدلة بنشيلها في ظرف مصنوع من ورق مخصوص.

ارتشف طارق قرفته مضيئاً:



- طب والله أنا قلت إن رطوبة البلاستيك هـ... .

قاطعته نادية بضيق:

- إنت بتكتب ملاحظاته ولأ مقضيها تطيل؟!!

- باكتب أهو والله.

قالها منكبًا على دفتره العملاق الذي يشبه دفاتر السجل المدني.

- لقيت حاجة تانية يا نوح؟

- لأ. الموضوع شكله مشوق بس بطلوا غلطات الهواة دي وركزوا شوية.

- إنت هتتنطط علينا عشان معلومتين. أقسم بالله أنا أقدر... .

قاطع توييخها المتعجرف لي صوت شيء زجاجي تهشم في الصالة، فاقتربت نادية من الباب صائحة:

- كسرتوا إيه يا ولاد الـ... .

استوقفها طارق قائلاً:

- استني، أنا هاشوف فيه إيه.

خرج وأغلق الباب خلفه، فقررت أن أستغل الفرصة لأهمم بالرحيل قائلاً:

- طب أتكلم أنا على الله قبل ما تبلي عيالك.





- استنى، عايزاك في موضوع. خالتو سوسن عاملة حفلة  
عشان عيد ميلاد ماما و... .

- جوز أمك هيبقى موجود؟

زفرت قائلة:

- ما خلاص بقى يا نوح! إحنا بقالنا سنين على الوضع ده  
و... .

- وكلنا مستريحين. هي مرتاحة مع جوزها الدكتور فازلين وأنا  
مرتاح مع نفسي.

- بس دي ماما يا نوح. المفروض تتقبل إن إنت وجوزها  
تقعدوا على تراييزة واحدة عشان... .

- مش إنت متقبلة إن واحد تاني ياخذ مكان أبوك الشهيد  
و... .

احتدت نبرتها قائلة:

- ما تلخبطش في الكلام يا نوح!

- لا ألخبط ولا ما ألخبطش يا نادية، ربحي دماغك مني!

- بكرة تبقى أب وتعرف يعني إيه ابنك اللي من لحمك ودمك  
يقاطعك.

- أنا مش مقاطع أمك، أنا ببساطة مش هابقى في مكان واحد  
مع جوزها ده.

- كده ومش مقاطعها؟! إنت آخر مرة سألت عليها كانت



إمتى؟

- ما هي كمان مش بتسأل عني!

- هو الند بالند؟

- إذا كانت هي كأم قلبها قسي عليّ، أنا مطلوب مني إيه؟

- مطلوب إنك تكبر وتنضج وتطلّع السواد اللي جواك من

ناحيتها.

ضحكت متهكمًا:

- سواد؟! أنا ممكن أسامح أمك على إنها عيشتني طفولة

مقرفة كلها شعوذة ودجالين وجهل، وطلعتني ملبوس قدام

عيلتها، وخالاتي بقوا بيخافوا ألعب مع عيالهم ويشغلوا قرآن

لما أدخل بيوتهم كإني شيطان، إنما إنها تنسى أبويا وتتجوز

بعده بسنة! آسف!

زفرت نادية وكان كلماتي قد أرهقتها، وقالت بهدوء:

- سامح يا نوح، سامح عشان ترتاح.

- السماح صعب يا نادية، ولو ما اتطلبش يبقى مستحيل.

أمك عمرها ما اعترفت بغلطتها في حقي، ولا في إنها فرطت

فيّ عشان تتجوز! هي اللي اختارت. أنا قتلها لو اتجوزت

هاعيش مع تيته، وهي اختارته!

- مش من حقك تخيرها بينك وبين سعادتها. ماما ليها

غلطات كتيرة بس بتحبنا بجد وبتخاف علينا من الهوا الطاير

...





- نادية! أنا بطني قلبت من الحوار البيت ده، مسائك مربى  
بقى وما تفصلنيش منك!

- خلاص يا نوح اتفلق! بكرة تندم على الأيام اللي بتضيّعها  
في الخصام دي!

دخل طارق وهو يلهث متوترًا، وأعلن بلا أي مقدمات:

- يحيي وباسر فتحوا النيش وكسروا طقم الصيني!

تحولت ملامح نادية الناعمة إلى وجه ساحرة شمطاء، وبرزت  
عروق عينيها الحمراء وهي تصرخ:

- إيبيبويه؟! النيببييش؟!

- أنا حاولت أتدارك الأمر بس هما خرجوا عن السيطرة.

صاحت صيحة تشقق لها السقف واهتزت لها الأرض  
وارتعشت لها المصابيح:

- النيببييش! النيببييش يا كلالااااب!

خرجت تغلي من فرط ثورتها العارمة، بينما تنفس طارق  
الصعداء وعاد إلى دفتره العملاق قائلاً:

- أنا كده عملت اللي عليّ.

نظرت إليه بازدراء قائلاً:

- شعورك إيه وإنك أب واطي بيسلم عياله تسليم أهالي؟

- مش أحسن ما يسلموني أنا؟ دول مش بس فتحوا النيش





المبجل، دول كمان كسروا طقم الصيني اللي بالشيء الفلاني!  
- ما تلعبوهم رياضة عشان يخفوا الهيرة دي.

- مش موضوع رياضة، هما كده، يتفرجوا على أي فيلم أكشن  
ولاً كارتون سوبر هيرو فيتجننوا ويقلدوه ويكسروا في الشقة  
ويلطشوا في أختهم الغلبانة!

أتى صوت بكائهما مخلوطاً بسباب ولعنات نادية، فابتسم  
طارق وقال برضا:

- والله الواحد بيتوغوش لو عدى يوم كده من غير ما نادية  
تطحن العيال ضرب!

\* \* \*

لا أتذكر مرة دخلت فيها المكتب دون أن تفوح منه رائحة  
الطعام، فقطز يسلي وقته بشيئين لا ثالث لهما: القراءة،  
والطعام. لمعدته قدرة خارقة على هضم أي نوع من الأكل،  
ومع ذلك وزنه لا يزيد جراماً واحداً!

كان كعاداته يأكل على مكتبي حتى لا يتسخ مكتبه هو،  
فعلى الرغم من عشقه لأكل الشارع وعشوائية انتقائه للطعام،  
فإنه في غاية النظافة والترتيب، ولا يطيق أن يجد بقعة على  
مكتبه، لذا فلا مانع لديه من تحويل مكتبي إلى سفرة.

خلعت سترتي وجلست على المكتب أمامه زافراً:

- عامل حسابي في الأكل؟

أشار إلى الكيس البلاستيكي الذي يتألق عليه شعار «فلفلة»





البرتقالي، ففتحته لأجد ثلاث شطائر كبيرة، التقطت واحدة منها، بينما قال هو:

- أنا قلت أكيد مش هتاكل من طبيخ نادية وهتيجي جعان.

- أكلها يقرف الكلب! مش فاهم طارق مستحمل إزاي!

- أكيد مجسات التذوق عنده خربانة. صحيح، هتعمل إيه

النهارده؟

- هاعمل إيه في إيه؟

- مش هتحتفل بالسنة الجديدة؟

- يعني ألبس طرطور مكتوب عليه ٢٠١٦، ولأ أنفخ بلالين

هيليوم؟!!

- إيه السُّكر ده يا نوح؟!!

- عايزني أقولك إيه؟ الناس كلها بتحتفل وترقص وتتبسط

وإحنا في القسم بناكل شاورما فراخ!

- مالها شاورما الفراخ؟! طعمة ويتحتوي السناجل اللي زينا.

مسح فمه بالمناديل المبللة مضيئاً:

- بمناسبة السنجلة، مش بتتمنى تقابل فتاة أحلامك في

السنة الجديدة؟

- فتاة أحلامي؟! الكلمة دي اتلغت من ٩٥.

- يا سيدي خلاص، مش بتتمنى تلاقي المُرَّة الفتاكة؟ حلو

كده؟





- بلا مُزة بلا زفت! أنا مش عايز من السنة دي غير حاجتين  
اتنين.

- ارغي.

- الترقية، ومنتج يقضي على الصلع. شعري بدأ يخف وإحنا  
عيلة رجالتها صُلع و... .

فُتح الباب بهمجية ليدخل الرائد صلاح الشبكي قائلًا  
بسخافته المعهودة:

- هابي نيوير لسيادة النقيب لمونة وزميله النقيب نسكويك.

هنا أدركت أن لي أمنية ثالثة: رصاصة في منتصف جبهة  
صلاح ترديه قتيلاً!

لم أجه، بينما همس قظر: «هابي زفت على دماغك».

جلس اللزج على الكرسي، ومد يده إلى كيس الطعام بلا  
استئذان ساحبًا شطيرة تفحص محتوياتها قائلًا:

- إيه ده؟ بانيه؟ إيه أكل الفرافير ده يا ابني؟!

اختطف قظر الشطيرة من بين أصابعه القصيرة بعنف قائلًا:

- خلاص، ما تاكلش!

استعاد صلاح الشطيرة بغوغائية قائلًا:

- يا عم باضحك معاك.

ضحك ضحكته الصفراء، ثم قضم بوحشية ومضغ بطريقة



حيوانية، وأخذ يتكلم والطعام يتطاير من بين شفتيه والمايونيز يسيل من جانب فمه:

- هتسهروا فين الليلة دي؟ أصدقاء السوء هياخدوني كباريه  
إنما إيه!

أخذ قزمة أخرى، ثم أكمل كلامه متباهيًا:

- إبليس يتكسف يقعد فيه. وهتحيي السهرة الرقاصة الكرياج  
دي... اسمها إيه؟

لم نعره اهتمامًا، لكنه استطرد:

- مش مهم اسمها، المهم إنها هتبقى سهرة ولا جهنم الحمرا.  
قلت ضجرًا:

- طب ما تاخذ الأكل وتاكله في الطريق عشان تلحق تقعد في  
جهنم صف أول؟

- ما أنا خلاص خلصت.

كور ورقة الشطيرة وألقى بها أرضًا، ثم مسح فمه بكم قميصه  
الأحمر الرخيص مضيئًا:

- أنا سايب القسم أمانة في إيديكم يا ولاد، هه. عايز الأمن  
يفضل مستتب لحد ما أرجع.

نهض متجهًا إلى الباب:

- سلام يا كئيب منك له.

خرج بضحكته النابحة وعطره المزعج، بينما قال قطز منتشلًا





ورقة الطعام من على الأرض:

- ياكش تموت هناك عشان تبقى موته نجسة!

\* \* \*

عندما أشعر بالضجر أخرج من المكتب وأتمشى في طرقات ونواحي القسم. أنزل عدة سلالم وأصعد أخرى، بينما يظل قظر يقرأ في أحد الكتب التاريخية أو الروايات البوليسية، أو الرومانسية سرًا.

في هذه الليلة كان الوضع هادئًا وآمنًا، فما من جريمة قد تُرتكب في مثل هذا التوقيت الذي ينشغل فيه الناس في انتظار العد التنازلي كي تدق الساعة الثانية عشرة مستقبلين سنة جديدة أجهل ملامحها، ولا أنتظر منها سوى ترقية وخطوة أفضل في مستقبلي المهني.

في طريق عودتي إلى المكتب، والسماء تتفجر بالألعاب النارية التي لم تتوقف عن الفرقة لقراءة خمس عشرة دقيقة، إذ بقظر يناديني من الشرفة متعجلًا:

- تعال، فيه بلاغ جالنا.

- ما تقولش الراجل العجوز اللي بيشتكي من الدوشة ده،

تاني!

- دوشة إيه؟! دي جريمة قتل!

- قتل؟! حد يتقتل دلوقت؟!!

- ده مش أي حد، دي مرات يوسف المنياوي.





- الاسم ده مش غريب عليّ.

- يا عم ده المنتج اللي كان متجوز نادين المندي الممثلة الشقرا أم عيون عسلي دي.

صُدمت:

- إيه؟! يعني نادين المندي اتقتلت؟

- مش نادين اللي ماتت. نادين ويوسف اتطلقوا من سنة. إنت مش متابع ولا إيه؟

- وأنا مالي أنا مين اتجوز ومين طلق! مين القتيل دلوقت؟

- مُزة بلطية كده بتطلع مع يوسف في كل حتة، دي اللي اتجوزها بعد نادين، ودي اللي اتقتلت.

حك ذقنه في طريق خروجنا من القسم مضيئاً:

- أكيد نادين قررت تنتقم من يوسف عشان اتجوز غيرها. أصل قصة حبهم كانت عنيفة.

لا يكف قطز عن تحليلاته العاطفية ذات الطابع الدرامي!



هكذا قصوا علينا الأمر، وهكذا سأقصه عليك:

في شارع «بهبجت علي» في الزمالك، اعتاد يوسف المنياوي الاحتفال بالسنة الجديدة في فيلته الفارهة ذات الأعمدة الإغريقية العالية، والسقف الذي يأخذ شكل القبة، والحديقة التي تزدهم بالأشجار. يجتمع المشاهير في الصالة الرخامية الملساء أسفل الثريا المنيرة، ثم تُطفأ الأضواء، ويبدأ العد التنازلي حتى تدق الساعة الثانية عشرة معلنة عن مولد عام جديد.

لكن هذه المرّة أعلنت الساعة عن جثة!

بعد أن هدأت الموسيقى، وأطفئت الأضواء وبدأ العد، سمع الحضور صرخة نافذة من شرفة الطابق الثاني للفيلا، وقبل أن يندفعوا نحو الصوت إذ بهم يرون جسد ديدا زوجة يوسف يسقط من شرفة غرفتها ليستقر فوق درجات سلم مدخل الفيلا، فيتهدم الرأس، وتلفظ أنفاسها الأخيرة.

\* \* \*

كانت جثة لامرأة قصيرة القامة في الثلاثينيات، ذات جسد ضئيل لكنه ملفوف كثير الانحناءات، لها شعر قصير وعينان واسعتان وساقان آية في الجمال، ترتدي ثوب نومها الأحمر القصير الذي لا يُخفي أيًا من مفاتها. سالت الدماء من رأسها على السلالم الرخامية في المدخل، لكنني لاحظت طعنة في بطنها.



ظل قظر ينظر إلى الشرفة العالية التي سقطت منها، ثم إلى جثتها التي التف حولها رجال الطب الشرعي والبحث الجنائي ملتقطين صورًا ومحدددين موقعها، حتى قال:

- ده مين اللي شقلطها في الجو كده؟

- أكيد نفس الشخص اللي طعنها في بطنها.

أضاف حسني المستكاوي، بينما حُمِلت جثة ديدا إلى المشرحة:

- وفي ظهرها كمان. فيه طعنة في البطن والظهر. هنشغل في الجثة وهنعرفكم الجديد.

بدأنا التحقيق مع الحضور وقد سمعوا ورأوا جميعًا المشهد نفسه: صريخ، ثم سقوط الجثة فوق سلال المدخل. وكانت المطربة الشهيرة نيللي، ذات العينين الواسعتين والشعر الفجري، جالسة على كرسي في الصالة ترتجف ودموعها تنهمر وهي تقول بصوتها الرقيق:

- أنا طلعت الجنينة بعيد عن الدوشة عشان أكلم جوزي في أمريكا وأقوله هابي نيو بير، فسمعت صريخ، بابص لقيت ديدا بتصوت من بلكونة أوضتها وتتقول الحقوني، وفجأة سدت على السور كأنها أغمى عليها أو نامت، وبعدها وقعت بالمقلوب كأن حد رفع رجليها من على الأرض، ونزلت على السلال ودهماغها اتفتحت!

أخذت تبكي مرتعشة:



- المنظر كان فظيع! مش قادرة!

قال قطز الرومانسي:

- معلش يا مدام نيللي. هدي نفسك. دا أنا من أشد  
معجبيك والله.

قدم لها منديلاً، فأخذته ومسحت دموعها بطرفه قائلة برقة:

- ميرسي خالص.

- لا ميرسي على واجب. والله لولا الظروف كنت أخذت  
معاكي سيلفي.

ضحكت نيللي، فأضاف مستخفاً ظله:

- أيوه كده، اضحكي خلي الشمس تطلع. أنا باحب أغانيك  
أوي.

ثم راح كالأبله يدندن إحدى أغانيها التي لا معنى لها ولا  
إيقاع، فوكزته هامساً:

- إنت أهطل يله؟ فين هيبة الشرطة؟!

- ما هي حاجة تنقط برضو، يعني يوم ما أشوف كل النجوم  
دول، يبقى عشان تحقيق في جريمة قتل؟!

تجاهلت صبيانته، والتفت إلى نيللي قائلاً بنبرة جافة:

- ما شفتيش حد في البلكونة قبل أو بعد القتيلة ما وقعت؟

- لآ، ما شفتش حد خالص.





- تمام، شكرًا.

ما إن التفتنا وراءنا، بعد أن انتهى استجواب نيللي، حتى وجدنا يوسف المياوي يقترب منا. كان رجلًا في مقتبل الأربعينيات، حليق الذقن، طويل القامة، يرتدي نظارة باهظة الثمن وبدلة سوداء أنيقة تكشف عن جسده الممشوق، وكانت له ملامح راقية لا يعكر صفو شبابها سوى شعره الرمادي الخفيف الذي يكاد لا يُرى بالعين المجردة.

بدا مذهولًا ومصدومًا، ولكن ليس بالقدر الذي يجب أن يكون عليه من قُتلت زوجته للتو.

- البقية في حياتك يا أستاذ يوسف.

- حياتك الباقية. ينفع ضيوفني يمشوا دلوقتٍ ويبقوا يبجولكم القسم بكرة، عشان الوقت اتأخر؟

اندفع قطز قائلًا:

- أكيد طبعًا، إحنا برضو تهمننا راحة ضيوفك.

- أنا بس مش عايز شوشرة أكثر من كده، كفاية اللي الصحافة هتكتبه و...

قاطعته غير مبالٍ بقلقه من الصحافة الصفراء:

- حضرتك كنت فين لما المدام وقعت؟ ضيوفك بيأكدوا إنك ما كنتش في الصالة.

أجاب بهدوء:





- زينب طلبت مني أطلع أوضة ديدا.

- زينب مين؟

- الهاوس كبير.

- يعني حضرتك طلعت أوضة المدام في نفس اللحظة اللي

وقعت فيها؟

- مش بالضبط. أنا وصلت «الكوريدور»، سمعت صريخ،

ولقيت الباب مقفول من جوه، خبطت، محدش فتح، فكسرت

الباب، لكن ما لاقيتش حد في الأوضة فنزلت تاني بسرعة.

- الجريمة حصلت والباب مقفول من جوه، وإنتو لما دخلتوا ما

لقتوش حد؟

- مضبوط.

- الأوضة لها باب واحد؟

- أيوه.

سأله قظر باهتمام:

- بتشك في حد معين؟

- أنا مليش أعداء، الناس كلهم حبايبي.

- والمدام؟

- لها مشاكل الستات العادية اللي عمرها ما تؤدي للقتل.

نظر حوله ثم قال:



- لو تسمحولي بس أقول لضيوفي يروّحوا وأرجعلكم تاني.

هز قطز رأسه ببشاشة، وأجابه مرحّبًا:

- طبعًا طبعًا، اتفضل.

ألح سؤال على خاطري، فسألت يوسف قبل أن يعود إلى ضيوفه:

- لحظة يا أستاذ يوسف، هو إيه السبب اللي ممكن يخليك تسبب ضيوفك في أهم لحظة في الحفلة وتسمع كلام الشغالة وتطلع أوضة ديدا؟

حك أنفه قائلاً بعينين زائغتين:

- ما لحقتش أسألها.

ثم أدار ظهره لبيتعد عنا مسرعًا، وحينها همست لقطز بيقين مطلق:

- الراجل ده بيكذب.

- عشان حك مناخيره، صح؟

هزرت رأسي موافقًا، فتلك هي بديهيات لغة الجسد.

أسهب قطز في الحديث محللاً الموقف:

- الصراحة موقفه زفت، ما هو مش منطقي يعني إن واحد عامل حفلة متكلفة كده، وبسيبها في ذروتها عشان الشغالة نادته، وأكد مش صدفة إنه يختفي في نفس لحظة وقوعها من البلكونة!



- اللي مش منطقي أكثر هو إن مراته اللي بتطلع معاه في كل المناسبات والحفلات ما تبقاش حاضرة الحفلة المعمولة في بيتها!

- مش حاضرة إزاي؟!

- دي كانت لابسة قميص نوم! إيه اللي يخليها تسيب حفلة جوزها وتطلع تنام قبل الكاونت داون؟!

\* \* \*

ارتدينا القفازات، ودخلنا حجرة تحولت من غرفة نوم أنيقة وكل ما بها غالي الثمن وقابل للكسر إلى موقع جريمة يكتظ برجال البحث الجنائي.

يتوسط الغرفة سرير عالٍ، وفي أقصى اليمين يوجد حمام بابه مغلق، وعلى اليسار الشرفة الكبيرة التي سقطت منها الضحية، وكان سور الشرفة عاليًا، لا شك أنه يصل حتى بطن الضحية قصيرة القامة، وهذا ما تؤكد به دمائها على السور، ثم رقعة دائرية كبيرة من الدم على الأرضية، حيث طُعن في ظهرها قبل أن تُلقى من الشرفة.

تابع حسني وفريقه جمع الأدلة، وقد لاحظنا كوبًا زجاجيًا مكسورًا بجوار الحائط، وطبق فاكهة كبيرًا تناثرت ثماره على السجاد التركي، بينما استقر الطبق بالقرب من السرير الذي تدلت أطراف ملاءته على السيراميك البارد.

علقت على ما لاحظته قائلاً:





- كان فيه خناقة.

هز قطز رأسه موافقًا، بينما أشار إلى تفاحة حمراء ملقاة أرضًا:

- التفاحة نصها متقشر.

أدركت ما يرمي إليه، فدقت النظر متفقدًا معه:

- يعني طبق الفاكهة كان فيه سكينه.

التفت إلى أحد رجال البحث الجنائي وسأته:

- فيه حد لقي سكينه هنا؟

- لا.

أعلن قطز مستنجدًا:

- يبقى هو ده سلاح الجريمة اللي اتطعنت بيه الضحية.

- والسلاح ده مش موجود!

نظرت إلى آثار الأقدام التي تحمل القليل من الطين على السجاد باهظ الثمن، ثم تتبعتها بنظري لأجد أثرًا آخر عند باب الحمام، فتوقفت عند عتبه لأجد بقعة داكنة من الدماء.

لقد طُعن ديدا الطعنة الأولى في بطنها في هذه المنطقة بالتحديد، ثم ركضت في اتجاه الشرفة لتستنجد، فتلقت الطعنة الثانية في الظهر ثم أقيت من الشرفة.

سألت حسني وأنا أفتح باب الحمام:





- لقيتوا حاجة في الحمام؟

- نفس آثار الرجلين اللي على السجاد موجودة فوق طرف البانيو.

نظرت إلى الحمام النظيف بشكل مبالغ فيه، ولم أهتم بتفاصيله الراقية، بل تعلق نظري بالنافذة الكبيرة المفتوحة فوق حوض الاستحمام.

اقتربت من النافذة الكبيرة فاكتشفت أنها تطل على شجرة ظل متينة الجذع والفروع، ويسهل تسلقها، بحيث إذا استند القاتل على طرف حوض الاستحمام وجلس على سور النافذة يمكنه أن يصل بسهولة إلى الشجرة التي تؤدي إلى الجزء الخلفي من الحديقة المطل على الجراج الخاص بالفيللا.

هكذا اتضحت طريقة الدخول والخروج دون الاستعانة بالباب.

ديدا كانت نائمة في غرفتها، وأغلقت الباب من الداخل - لسبب لم أتبينه بعد - ثم تسلق القاتل الشجرة إلى نافذة الحمام، ومنه إلى الغرفة، وقتلها، ثم خرج بالطريقة نفسها، وما يثبت صحة نظريتي تلك الآثار في الحمام التي تحمل بقعاً من الطين، ولا شك أن مصدرها الحديقة.

دققت النظر أكثر، فوجدت مسماراً بارزاً في طرف النافذة الخشبي، جعلني أظن أن من تسلق الشجرة ودخل من النافذة لا شك أنه أصيب بجرح، أو على الأقل تمزق بنظونه.

- بص لقيت إيه؟





قالها قطز مشيرًا إلى علبة السجائر والولاعة الموجودة عند طرف السرير، وواصل موضحًا:

- علبة كليوباترا، وولاعة بلاستيك رخيصة! ما أظن أن دول يخصوصا يوسف.

وضعت يدي في جيبتي وقلت:

- تفتكر دي الحاجة المهمة اللي الشغالة شافتها وندهت يوسف عشانها؟

- نادته عشان علبة كليوباترا؟!

- عشان اللي بيشرّب الكيلوباترا يا أهطل!

- كيبييلوباترا؟! اسمها كليبيوباترا. بطلوا جهل بقى!

- طب ركّز يا سفير ماركات السجاير في الوكسة اللي إحنا فيها.

- ما أنا مركّز أهو. إنت قصدك يعني إن مراته كانت بتخونه والشغالة شافتهم وندهت على يوسف عشان يقفشهم؟

هزرت رأسي مؤكّدًا ما استنتجته، فحك ذقنه مردفًا:

- قدمه اتحرق، وما قدرش يسيطر على نفسه، فسحب أول سكينه شافها قدامه و...

- وطعنها مرّة عند باب الحمّام فجريت على البلكونة تصرخ، فقام طاعنها الطعنة الثانية وراميها من فوق.

نظرت نحو الشرفة متخيلاً المنظر من الداخل، فوجدت ثغرة:



- بس يوسف طويل أوي. لو هو اللي عملها، نيللي كانت هتشوفه وهو واقف ورا ديدا! لو مشينا على شهادة نيللي يبقى القاتل لازم يكون في طول ديدا أو أقصر منها، بحيث إن محدش يشوفه وهو واقف وراها، ويكون خفيف الحركة فيقدر يهرب من شبك الحمّام ويتسلق الشجرة برشاقة.

- شبك الحمّام؟!!

نظر قطز في اتجاه الحمّام فلاحظ النافذة الكبيرة المفتوحة:

- يعني إحنا دلوقت بندور على واحد قصير ورفيع؟

- وغالبًا بنطلونه مقطوع.

\*\*\*

يعمل في الفيلاً بستاني مُسن، وسفرجي، وثلاث خادمت تحت إشراف زينب كبيرة الخدم التي لم نلقها بعد، لكننا كنا محظوظين لاستجواب الطاف، أصغر الخادمت سنًا وأكبرهن حجمًا وأكثرهن كلامًا حيث وهبها الله لسانًا نشطًا لا يعرف الملل:

- أنا هاحكيلك يا باشا. وداد كانت...

قاطعها قطز مستفهمًا:

- وداد مين؟

- ييبويه يقطعني، قصدي الست ديدا. ما هي أيام ما كانت دادة كان اسمها وداد، بس بعد ما البيه اتجوزها ونضفها بقت



ديدا هانم.

مصصت شفيتها بغل:

- حظوظ!

سألها قطز منبهراً:

- ديدا كانت الدادة؟!!

- أوماااااااااااا! أنا هاحكيلك من الأول.

أخذت نفساً عميقاً استعداداً لماراثون النميمة الذي ستبدأه،  
ثم انطلقت بلا هوادة:

- أيام ما البيه كان متجوز النجمة السُّكرة نادين هانم، و داد  
كانت الدادة بتاعة الهانم الصغيرة فريدة بنت نادين ويوسف  
بيه. الست نادين كانت مهتمة بالسِما، وأهملت البيه في  
الفترة الأخيرة، قوم و داد الحية تلف على يوسف بيه، وتلدغ  
الإيد اللي اتمدتها، وتتدحلب وتخليه يتجوزها عشان حِتة طبق  
كريم كراميل!

- كريم كراميل؟!!

- ما أنا جياالك في الكلام. الهانم الصغيرة بتعشق الكريم  
كراميل زي عينيها، لكن محدش كان بيعرف يعمله على  
مزاجها غير اللي ما تتسمى و داد، فقبلوا يشغلوها عشان فريدة  
هانم شبطت فيها، مش هي لوحدها، ده حتى البيه اللي كان ما  
يطيقش زفارة البيض الحية عرفت تحببه فيه، وبعد كده لما  
نادين هانم كانت مسافرة، و داد غوت البيه ودبسته، ومدام





نادين عرفت وكانت خناقة لرب السما، فاتطلقوا، واتجوز وداد  
المقشفة. تقولش عاملاله عمل يا باشا!

علقت بعد أن قررت أطف أن تخرس قليلاً لتستعيد أنفاسها  
اللاهثة من أثر النميمة:

- ده إنت معبية منها بقى؟

- هو فيه حد في البيت ده طايقها؟ دي ما رحمتش لا صغير  
ولا كبير، حتى البيه نفسه في الفترة الأخيرة بقى بيتخانق  
معاها ليل نهار، وكان هيطلقها. أنا سمعته إمبارح بودني وهو  
بيقولها نتطلق وأديك الفلوس اللي إنت عايزاها. أصل شكله  
كده والله أعلم يعني حن لمدام نادين. أنا كنت باسمعه كثير  
بيتسحب عشان يكلمها في السر، ووعداها إنه هيطلق اللي ما  
تسمى. بس وداد قالتله تطلقني إزاي وأنا حامل. البيه وشه  
جاب ألوان، وقرر إنه يستحملها عشان العيل اللي في بطنها.  
المعفنة بقى مش تتعظ وتصلح معاملتها مع البيه؟ أبدًا، كل  
شوية خناق ونكد. دي المفترية حتى اتخانقت معاه ونكدت  
عليه في الحفلة.

- إمتى بالظبط؟

- قبل ما يطفوا الأنوار ببيجي نص ساعة. شُفتها متزينة  
ويوسف بيه وراها في الطرقة. أنا كنت باجيب الكريم كراميل  
للهانم الصغيرة في أوضتها، وسمعته بيقولها «إنتِ مش  
هتبطلي غيرة ونكد؟ ما ينفعش تمشي في نص الحفلة!»،  
راحت فاتحة فيه ومزعقة وقالتله «يعني طليقتك تبعتك كلام



حب ومش عايزني أتعصب؟!». وبعدها رزعت باب أوضتها والبيه نزل. ولما طلعت من عند الهانم الصغيرة هي قفشتني وقالتلي «روحي يا زفته جييلي كوباية اللبن بتاعتي وطبق الفاكهة»، فجبتهم، ودي كانت آخر مرة أشوفها قبل ما رينا ياخدها يا باشا.

- سكينه الفاكهة دي شكلها إيه؟

- إيدها بمبي وعليها ورد.

- يعني ملخص الرغي ده كله إن وداد كانت في الحفلة، وبعد كده اتخانقت مع يوسف، وطلعت أوضتها وما نزلتش تاني، صح؟

- أنا عن نفسي ما شُفتهاش نزلت تاني.

- وتفتكري مين ممكن يقتلها؟

- شوف يا باشا، هي منكدة علينا عيشتنا كلنا، بس محدش مننا يقدر يئذيها، إحنا بنخاف رينا برضك.

- مش لازم يبقى حد منكم، ما سمعتيهاش بتتخانق مع أي حد من بره الفيلا؟

- أقول مين ولا مين، هو فيه حد وداد ما بتتخانقش معاه يا باشا؟! ده حتى إمبراح الصبح دبت خناقة لرب السما مع شكرية.

- مين شكرية دي كمان؟

- أختها الكبيرة، شغالة ممرضة في القصر العيني، وكانت





بتمرض البيه الكبير أبو الأستاذ يوسف الله يرحمه، وهي اللي جابتلنا المدعوقه أختها تشتغل هنا.

- اتخانقوا على إيه؟

- ما أعرفش، بس تلاقىها كانت عايزة منها فلوس، ما هي اتعودت تغرف من مال البيه وتدي لأختها. أنا لحقت الخناقة في آخرها، وسمعتها بتشرشح وتقول «ده أنا أفضحك وأشرب من دمك»، أصل شكرية كلبة فلوس وتنهش مصارين اللي قدامها عشان القرش، دي لو لقيتك خمسة جنيه هتاخذك تصرفك. وبعدين بتغير من أختها عشان اتجوزت البيه وبقت في الهلومة دي كلها وهي لأ.

- إنتِ شايفة إن شكرية ممكن تقتل أختها؟

- يمكن يا باشا، دي عيلة بنت حرام ما تعرفش رينا!

\*\*\*

طلبنا من يوسف يتصل بشكرية، وبطلب منها الحضور العاجل. وسألته:

- هو حضرتك والمدام اتخانقتوا ليه؟

أجاب بتلقائية:

- غيرة ستات. نادين بعتلي بوكيه ورد عشان السنة الجديدة، فديدا شافت الكارت واتعصبت.

- بس كده؟





- أيوه. ديدا طبعها عصبي ومخها صغير.

- وهي مش غريبة برضو إن نادين تبعتك بوكيه بعد الطلاق العنيف اللي حصل ما بينكم؟

- عنيف؟! بالعكس، إحنا طلاقنا كان متحضر جدًّا، وفضلنا أصدقاء عشان مصلحة فريدة.

- أكيد عنيف ما دام سببه إنك اتقفشت مع الدادة.

ارتبك وصاح بي بعصية لا تليق بلامحه الهادئة:

- إنت إزاي تسمح لنفسك تتدخل في خصوصياتي وتتكلم بالأسلوب السخيف ده؟!

تدخل قطز بدبلوماسيته المعتادة:

- بلاش حساسية يا أستاذ يوسف، إحنا لازم نسألك عن كل تفصيلة عشان أمانك. إنت مش عايز تعرف مين اللي اتجرأ يقتل مراتك في بيتك ووسط ضيوفك؟

زفر حانقًا، وخلع نظارته ليفرك عينيه، ثم لبسها وقال بنبرة متوترة:

- أكيد طبعًا عايز أعرف، بس هو طلاقني له علاقة بالجريمة؟

سألته محاولًا أن أبدو أقل فظاظة:

- وداد لو ما كانتش حامل كنت طلقته ورجعت لمدام نادين، مضبوط؟

ارتبك ثانية، ثم قال مثبتًا نظارته على أرنبة أنفه:





- ده مين اللي بيطلعك أسرار بيتي؟

- خلاص يا سيدي، إيه نوع السجاير اللي حضرتك بتدخنها؟  
أظن دي بقى مش أسرار بيتك.

استغرب السؤال، لكنه أجابني مترددًا:

- أنا باشرب سيجار مش سجاير. إنت ليه... .

- والمدام بتدخن؟

- دافيدوف. ده له دخل بالقضية؟

- أومال يعني بأسالك ليه؟ هانزل أجيبلكم دخان من  
الكشك؟!

حدجني قطز ليحذرنى من العصبية، فزفرت مجددًا لأسأله  
سؤالًا جديدًا:

- إنت أعلنت حمل مدام وداد؟

- لآ، هي فضّلت نستنى شوية عشان بتخاف من الحسد.

- نادين عرفت إنها حامل؟

- لآ.

- نادين كانت فين في توقيت الحفلة؟

- عندها تصوير في أسوان ولسه هترجع آخر الأسبوع.

- متأكد إنها كانت في أسوان النهارده؟

- متأكد طبعًا.





- طيب، نادي على الهاوس كبير.

- هو إنت بتشك في حد معين؟

- في الوقت الراهن، كل اللي كانوا في البيت وقت الحفلة بالنسبة لنا مشتبه فيهم.

\* \* \*

انتظرنا في الصالون الذي يغلب عليه اللون الذهبي وتنتشر فيه التماثيل واللوحات الفنية المجردة التي ظل قطز يحدق فيها بإعجاب، بينما أشعلت سيجارة ليروي النيكوتين ظمئي.

علّق قطز بعدما فرغ من دراسة اللوحات:

- أنا حاسس إن يوسف مش زعلان. بدمتك ده منظر واحد مراته الحامل اتقتلت؟!

- إما إنه ما صدّق خالص منها، وإما لسه تحت تأثير الصدمة.

- أو هو اللي قتلها عشان يرجع لمراته القديمة.

- اتكى ع الصبر، وما تسبقش الأحداث.

- طب علبة السجاير دي بتاعة مين؟

- أكيد محدش من المعازيم اللي كانوا في الحفلة بيدخنوا كليوباترا. يبقى مش ناقص غير اللي شغالين في الفيلا. الشغالات كلهم قالوا مش بيدخنوا، والكل شهد إن السفرجي فضل في المطبخ طول الحفلة بيلاحق على الأكل بالعافية، والجنايني راجل كبير وما كانش موجود أصلاً، كده فاضل



مين؟

- يوسف المنياوي!

- لأ، فاضل السواق.





قطع حديثي مع قطز دخول امرأة قصيرة في مقتبل  
الخمسينيات، ذات وجه شديد الصرامة، حاجباها الرفيعان  
معقودان، وشعرها الذي تخللته الخصلات البيضاء معقوص  
بشدة إلى أعلى، تضغط على فكها بقوة واضحة تتماشى مع  
شدة ضمها لقبضتي يديها المغلقتين، وقد اقتربت منا بخطى  
ثابتة ورأس مرفوع، ناظرةً إلينا بشموخ ملكة مبدلة، حتى  
نطقت بنبرة راقية:

- بونسوار يا بهوات، مسيو يوسف قالي إن حضراتكم  
محتاجين مساعدتي.

أشار قطز لكبيرة الخدم بأن تجلس على الكرسي المقابل،  
فجلست مفرودة الظهر كالموناليزا.

- مدام زينب...

قاطعتني بحدة:

- مادموزيل، من فضلك.

قلت ضجراً من التفاصيل التي يصر كل فرد في ذلك البيت  
الممل أن يدخلني فيها:

- يا جناب معالي زينب هانم، الأستاذ يوسف كان فين وقت  
الحادثة؟

- كان معايا. طلعا سلاالم الدور الثاني، وإحنا عند  
«الكوريدور» سمعنا صريخ المرحومة، بس الباب كان مقفول



من جوه، وبعد كذا محاولة قدرنا نكسره، لكن لقينا الأوضة فاضية.

- وإيه اللي خلاكم تسيبوا الحفلة وتطلعوا الأوضة من الأساس؟

شددت قبضتها وقالت بهدوء:

- ده سؤال يقدر يرد عليه مسيو يوسف، و...

قاطعتها بحدة وقد نفذ صبري:

- إحنا اللي نحدد مين يرد على إيه!

أضاف قطز برقته المعهودة مع السيدات، وكأنه يعتذر لها نيابة عني:

- إحنا حابين نسمع الإجابة من حضرتك. إيه الشيء الضروري اللي كان لازم يشوفه في أوضة وداد؟

- أقولهم أنا يا زوزو؟

قالتها فتاة في الثانية عشرة من عمرها، تقف عند طرف الباب ممسكة بدمية كبيرة وطبق كريم كراميل لا أجد فرقاً بينها وبينه، فقد كانت بدينة ورخوة وبيضاء البشرة ولها عيانان عسلتان وشعر بُني كالكريم كراميل. مشت بخطوات بطيئة بمنامتها الوردية، حاملة دميته، ثم جلست على الأريكة بجوار زينب، وأكملت أكل الكريم كراميل قائلة:

- أنا اللي ناديت زوزو وقتلتها إني...





قاطعتها زينب بنبرة امرأة:

- فريدة! إنتِ إيه اللي صحاكِ دلوقتِ؟

- أنا ما نمتش أصلاً. كنت قاعدة باتفرج عليكم من فوق.

التفتت إليّ مضيئة:

- كنت باتفرج على فيلم «Saw»، عارفه؟

- ده كله دم وتقطيع! مش بتخافي؟!

- بابي بيقولني لازم أبقى شجاعة وقلبي جامد، بس أنا أحياناً

باخاف وياجري على أوضته، إحنا أوضنا جنب بعض، لكن أنا

مش باخاف كثير.

كررت زينب بنبرة جادة:

- فريدة، ع النوم فوراً.

- بس يا زوزو أنا... .

- فريبيدة!

كادت المراهقة التي امتلأ وجهها بحب الشباب أن تنهض،

لكني استوقفتها قائلاً:

- خليكِ يا فريدة. قوليلي حصل إيه؟

ابتسمت كاشفة عن أسنانها اللؤلؤية، وجلست بكرشها

المتلئة، وقالت متحمسة:

- وداد الزفته خلت ألطاف تطلعني أنام و... .









البنك ويقولها «هاموتك هاموتك»، وهي قالتله «أنا حوّلت  
الفلوس في حسابك».

خفّضت فريدة صوتها، ثم همست مضيئة بخجل طفولي:

- وحضنته وباسته في خده، وقالتله «إنت ملكش غيري، ما  
تسمعش كلام شكرية».

ارتبكت زينب، لكنها لم توقف فريدة ولم تمنعها من الكلام،  
بينما أكملت فريدة حديثها بأسلوب مسرحي تُغير فيه طبقة  
صوتها وتمثل الكلمات بيديها:

- لفيت لقيت زوزو واقفة ورايا وتتقولي «عيب تتجسسي على  
حد»، لكن أنا قتلها سعيد جوه مع...

قاطعها قطز مستوضحًا:

- سعيد مين؟

أجابته زينب بهدوء:

- الشوفير.

أكملت فريدة مسرعة لتعيد تسليط الأضواء عليها:

- قلت لزوزو هانادي على بابي بسرعة يشوف بنفسه، بس  
هي قالتلي «خليك في أوضتك وأنا اللي هناديله»، لكن وداد  
سمعتنا، فلما بابي جه وكسر الباب ما لقاش حد.

التفت إلى زينب مستجوبًا إياها:

- هي دي الحاجة الضرورية؟





تنهدت، ثم قالت ببطء:

- للأسف! أنا حاولت ألمّح لمسيو يوسف كثير بشأن...

توقفت عن الكلام لتنظر إلى فريدة التي بدأت تقطع بعض شعرها وتمضغه بشكل لا يليق بفتاة في سنها، وأسرعت تنهرها:

- سيبى شعرك يا فريدة!

تركت شعرها سريعاً، ثم بدأت تداعب دميته المحشوة التي تقبض على رقبتها بعنف، فقالت زينب زافرة:

- أنا مش هاعرف أتكلم والبنت قاعدة!

اندفعت فريدة معترضة:

- أنا مش صغيرة! أنا فاهمة وعارفة كل حاجة. وداد كانت بتخون بابي. بابي أصلاً مش بيحبها، ولولا إنها حامل كان طلقها.

التفتت إلينا وهي تهز قدميها بتوتر:

- وداد ضحكت عليّ لما كانت الناني بتاعتي، وخلتني أحبها عشان تتجوز بابي، ومامي عيبت كثير بسببها!

التفتت إلى زينب قائلة بعصبية:

- قوليلهم يا زوزو إنها مؤذية، احكيلهم إزاي ضربتك النهارده، وكانت هتخليك تمشي زي ما مشيت حامد، احكيلهم.

همس لي قفز متأثراً بثورة تلك المراهقة الصغيرة:





- أنا شايف إن البنت لازم تمشي.

- وأنا شايف إن سعيد لازم يحضر حالاً.

- هاطلع أشوفه بنفسي، خِف إنت ع الناس شوية.

\* \* \*

خرج قطز وبصحبته فريدة التي ألهاها بالحديث عن فيلمها المفضل، فنهضت معه حاملةً دميتها المحشوة إلى الصالون.

قالت زينب بضيق:

- خلصت أسئلتك؟

- هو أنا لسه بدأت؟ إيه حكاية سعيد ده؟

- وداد شغلته من كام شهر بعد ما اتبلت على شوفيرنا القديم حامد بأنه اتحرش بيها وعملت دوشة، ومسيو يوسف حب يريح نفسه فبعث حامد يشتغل عند واحد من أصحابه المهمين، وخلي سعيد ال...

- وإيه شكل العلاقة بين سعيد ووداد؟

صمتت زينب قليلاً، ثم أضافت متعففة:

- الشكل اللي فريدة قالت لحضرتك عليه.

- وإيه الدليل على ده؟

- أنا وألطف لمحناها كذا مرة وهي بتتسحب لأوضته اللي في الجنيئة في أوقات غير مناسبة، وشُفناه وهو طالعلها في عدم وجود مسيو يوسف.





- والموضوع ده بقاله قد إيه؟

- حوالي شهرين.

- يوسف كان حاسس بحاجة؟

- إطلاقًا. المسيو بيثق في الناس كلها، ده أطيب إنسان

ممکن تتعامل معاه في الدنيا.

- شكلك بتعزبه أوي.

- أنا بقالي اتنين وتلاتين سنة بادير بيت عيلته، وهو بيعتبرني

أخته الكبيرة.

- وما دام إنتِ غالية عليه أوي كده، إزاي سمح لوداد

تضريك؟!

- هو ما يعرفش إنها ضربتني.

- ما قلتيلوش ليه؟

- ما حيتش أزعجه الليلة دي. راس السنة مناسبة مقدسة

عند مسيو يوسف، وممنوع طرح أي نوع من المشاكل حتى لو

كانت نهاية العالم.

- ومع ذلك ناديتِ عليه عشان يقفش وداد!

صمت، لكني كنت أعلم الإجابة مسبقًا، فسهلت الأمر

عليها:

- حبيتِ ترديلها القلم اللي ادتهولك، صح؟





رمقتني بكبرياء، وامتنعت عن الرد، فتأكدت من صحة تخميني، وقررت أن أنتقل إلى نقطة أخرى:

- هي ضربتك ليه صحيح؟

أجابتنني على مضمض:

- عشان اكتشفت كذبتها الكبرى. وداد مش حامل!

أشعلت سيجارة أزعج دخانها زينب وهي تتلقى سؤالي التالي:

- وعرفت منين إنها مش حامل؟

- شُفتها النهارده بتاخذ دوا خاص باللي شايلين الرحم. أنا بس اللي اكتشفت الحكاية دي عشان أختي الصغيرة استأصلت الرحم وكانت بتاخذ نفس الدواء، فتأكدت إن حمل وداد كان كدبة حاولت تنقذ بيها نفسها عشان مسيو يوسف قرر يطلقها ويرجع لمدام نادين، فقررت أواجهها، لكن رد فعلها كان في منتهى البجاجة!

- وما قلتيش ليه ليوسف إنها مش حامل؟

زفرت في نفاذ صبر، وأخذت تشرح لي وكأنني طالب بليد:

- ما أنا وضحت لحضرتك إني ما حبيتش أنكد عليه قبل الحفلة، وما كانش هيجرى حاجة لو عرف بعد ما الضيوف يمشوا، مش بس عشان وداد لازم تنكشف على حقيقتها، لكن كمان عشان مسيو يوسف ومدام نادين ضروري يرجعوا لبعض، وفريدة لازم تتربى وسطهم. وداد هي اللي بوظت كل حاجة



بينهم بعد خمستاشر سنة حب وهدوء بين المسيو والمدام! وداد  
كان لازم تطلع من الصورة عشان السلام يرجع البيت ده تاني!  
انتابني الشك!

لهجة زينب وهي تتكلم عن وداد تشي بحجم الكره والغل  
نحوها، ثم إنها تكاد تكون أقصر من الضحية، فإذا وقفت  
خلفها لن يراها أحد، فضلاً عن أن ولاءها ليوسف وعائلته  
منقطع النظير، وقد يدفعها حبها للعائلة التي كرست عمرها في  
خدمتها إلى القتل.

- يعني يوسف ما يعرفش بموضوع عدم حملها لحد دلوقتِ؟

- اضطريت أقوله، لأنه لما شاف وداد ميتة انهار على ابنه  
اللي كانت حامل فيه. كان لازم أعرفه عشان أهديه، ووربته  
الدوا عشان يتأكد، وفهمته إنها ما تستاهلش دمة واحدة منه.  
هذا يفسر ردود فعله الهادئة وعدم اهتمامه بمعرفة القاتل أو  
حتى حزنه على زوجته القتيلة.

- صدِّقك؟

- مش عارفة. فضل ساكت، ما نطقش بكلمة. عمري ما  
شُفته في الحالة دي. بيتعامل كأن مفيش حاجة حصلت، لا  
غضب ولا حزن. حالة غريبة من عدم التصديق!

\* \* \*

- موّتوا أختشي يا كفرة!

أتى الصوت مجلجلاً غوغائياً من الخارج، واقتربت صاحبة





النواح الفجري واقتحمت الصالون. كانت امرأة في منتصف الأربعينيات، قصيرة القامة، ناتئة العظام، لها أسنان بارزة من بين شفتيها الرفيعتين، وشعر تختلط فيه ألوان الصبغة الرديئة الأحمر والبني والبرتقالي.

رفعت يديها بأداء مسرحي، فخشخت أساورها الذهبية في ذراعيها الرفيعتين وهي تصيح:

- قتلوا أختشي يا باشا! قتلوا أختشي الحيلة!

وبكت، فساح كحلها ليزيد منظر وجهها النحيف قبْحًا، ومكلمة صياحها:

- يا عيني يا وداد يا أختشي! يا صغيرة ع الموت يا أختشيببي!

مطت زينب شفتيها ممتعضة من أداء شكرية الهمجي، ثم زفرت قائلة:

- حضرتك عايز مني حاجة تانية؟

- حاليًا لأ. بس خليك قريبة.

هزت رأسها، وخرجت لتتركني مع شكرية شقيقة القتيلة التي بدأت تمسح دموعها بكُمها وهي تقول:

- لما كلموني في المستشفى ما صدقتش!

زاد بكاءها:

- أنا اللي مربية وداد يا باشا. أبويا وأمي سابوهالي وهي



تلاتاشر سنة، وأنا اللي اشتغلت وربيت، وحلفت لأخليها تتعلم  
وتأخذ الدبلون وتبقى عروسة.

احتد بكأوها وهي تقول:

- تيجي تموت كدهوك؟!

بدأت تولول قائلة:

- سيبتشيني لمين؟ لي مين من بعدك يا بنت أمي وأبويا! مين  
اللي عملها يا باشا؟ مين اللي قتل أختشي؟

أخمدت سيجارتي، وسألتها متجاهلاً ولولتها المصطنعة:

- تفتكري إنت مين؟

- يعني أنا اللي هاعرف شغلكم يا باشا؟!

- رُدي عدل! كنت فين الساعة اتناشر؟

- في المدعوقه المشتشفى، كان عندي نبطشية.

- واتخانقتِ ليه مع أختك إمبراح الصبح؟

مسحت دموعها كاشفة عن وجهها الحقيقي وهي تنطق  
كلماتها بغل:

- عشان واطية بنت ستشين كلب! طلبت منها مبلغ ما  
يسواش ربع اللي صرفته عليها في تعليمها، تقوم الناقصة  
تقولي «وأنا مالي ياكش تتحرقني بجاز»! ده أنا لو كنت مربية  
كلب كان طمر فيه. هي أول ما دخلت البيلا نسيت أصلها  
ونكرت جمايلي عليها! أنا اللي خلّتها بني آدمة، ووقفت حالي



ومحتالي، وفي النهاية تعمل معايا كده؟!!

عادت للبكاء:

- بس أقول إيه يا باشا! أختشي الوحيدة وماتت وقطعت بيّ!  
على كل اللي كان بينا، ما كانش لينا غير بعضينا. كنا ناكل  
بعض زي الكلاب السعرانة وبرضك نرجع نتصالح. دي مش  
أختشي الصغيرة، دي ضنايا!

اشتد بكاءها:

- ضنايا ماتت يا باشا!

خرجت الكلمات الأخيرة صادقة من قلبها، وأخذت تمسح  
أنفها المدبب كأنف الساحرة الشمطاء، ونطقت كمدًا:  
- مين اللي عملها يا باشا؟ شاورلي بس عليه وأنا أنهش  
مصارينه!

- كنت تعرفي العلاقة اللي بين سعيد ووداد يا شكرية؟

- هو حضرتك عرفت؟!!

- ده البيت كله عرف.

- عرفوا إمتي وإزاي؟! ده لحد النهارده الصبح محدش كان  
عارف أيتوها حاجة!

- وإنتِ بقي اللي عارفة؟

- إلا عارفة، ده أنا اللي... أستغفر الله العظيم، ما كنتش  
عايزة أحكي، بس خلاص ما هي ماتت وما عادش يفرق. لما





وداد رفضت تديني فلوس، أنا جبت سعيد وحتيته قدام عينيها  
كدهوك وقتلتها لو ما اديتينيش اللي عايزاه هاعرف البيه كل  
حاجة.

- هددت أختك بإنك تقولي لجوزها عن خيانتها له مع سعيد؟!

أرجعت رأسها للخلف قائلة بدهشة:

- أستغفر الله العظيم يا رب! تخون جوزها مع سعيد إزاي يا

باشا؟! استغفر ربك!

- جرى إيه يا ست الشيخة؟! ما إنتِ اللي لسه قايلة كده!

- قايلة إيه يا باشا؟! دي وداد تخون البيه مع أي حد إلا

سعيد!

أجبتها ساخرًا:

- إשמعني؟! أخته في الرضاعة؟!

- لا يا باشا! أمه!



فركت عيني وقد بزغ الفجر ونفذ ضوءه من الشباك، بينما كنت لا أزال أتحدث مع شكرية التي روت بلا توقف:

- سعيد يبقى ابن وداد ومدحت. الواطي عمل عمله مع البت وهي خمستاشر سنة، وقالها هاسافر أطاليا وأرجع أعيشك برنسيصة. الفقري ابن الفقرية مات في البحر والسماك قرقشه. بس وداد كانت حيلة وجات تعيطلي، وأنا أختها الكبيرة، ومرضك مسؤولة عنها يا باشا. قالتلي هتنزل العيّل، قتلها حرام يا أختشي ده روح، لو ما تلزمكيش غيرك أولى بيها. حاكم إحنا كان لنا جارة اسمها جمالات غلبانة غلب الدنيا، متجوزة جدع شغال في الكويت، وقالها إن أمه هتخليه يطلقها عشان لسه ما جابتلوش عيّل، أصل جمالات ما بتخلفش، وكانت خايفة تقول لجوزها ع الحكاية دهيك. أنا بقى جاتلي الفكرة، حيث إن أنا إيه... لما أمخمخ أعجبك أوي! قتلها خدي ابن وداد يا جمالات وقولي لجوزك إنك حامل، وهو كده كده بينزل مرّة في السنة، يعني مش هيشك في حاجة. جمالات قفشت في الفكرة وخذت وداد على الفيوم، هي أصلاً من هناك وعندها شجرتين برتقان. عيّشت وداد معاها لحد ما ولدت، وخذت العيّل، ومفيش مخلوق يعرف إن سعيد اللي مكتوب في الشهادة باسم جمالات وجوزها يبقى من لحم ودم وداد ومدحت.

- أومال إيه اللي جابه هنا؟



- هو عيّل خايب وعواظلي، وحاله اتأندل أكثر بعد ما جمالات وجوزها ماتوا، وعمه كل عليه ورثه، فبقى ماشي بيتنشأع القرش. أنا شفت ظروفه، والصراحة يعني كنت مبهوأة من وداد، قلت أخلي المصلحة واحدة. كلمته وقتله وداد تبقى أمك الحقيقية، وامشي معايا تطلع بهبرة حلوة. وهو ما صدق. كلب فلوس زي أمه! جبتة لوداد وقتلتها هتدفعي هنسكت على ماضيك.

- ابتزاز يعني!

- فين الاستبزاز ده يا باشا؟! ده أنا سترت عليها، ولميت لحمها، وخلّتها تساعد الواد اليتيم وتشغله عندها، وياكل لقمة حلوة، ويلبس هدمة نضيفة، ويقعد في بيلا أهله ما يحلموش يشوفوها من بعيد و...

- وإنت تسحبي من وداد على راحتك، وهي مش هتقدر تبيم معاكي!

- ما تقدرش إيه؟! وداد دي جبارة، ده أنا لما طلبت منها فلوس آخر مرة قالتلي «كفاية وأعلى ما في خيلك اركبيه، إنت معندكيش دليل إن سعيد يبقى ابني»، فقتلتها بس عندي يا روح أمك دليل إنك مش حامل. أصل كلام في شرك، هي جالها المرض إياه بتاع نزيف الرحم قبل ما تيجي البيلا هنا وكان لازم تشيل الرحم، بس طبعًا البيه مش عارف، هي مخبية عليه وعارفة تحبك الدور صح.

- وسعيد؟





- واد قلبه أبيض، هو عصبي حبتشين آه، بس يطلع يطلع  
وينزل على مفيش. ورث من وداد طلقها الحامي، وخذ مني  
قلبي الطيب.

رفعت حاجبي، فأنا لا أفهم عن أي قلب طيب تتحدث!

\* \* \*

كدت أطرح على شكرية سؤالاً جديداً، لولا أن قاطعني قطز  
بدخوله المفاجئ ممسكاً بفتى في التاسعة عشرة من عمره، له  
أذنان وطواطيتان، ووجه كوجه الفأر، وبشرة لم تتعاف من آثار  
حب الشباب بعد.

شدّد قطز قبضته عليه قائلاً:

- الباشا كان بيحاول يهرب.

قال الفتى معترضاً بنبرة همجية، بينما قطز يُلقي به على  
الكرسي المقابل لي:

- ما كنتش باهرب يا عم! إوعى كده طاااه.

- يا عم؟! طب اضبط ياض بدل ما أخرشمك!

قالت شكرية بريئة:

- بتحاول تهرب من إيه يا سعيد؟!

- ما كنتش باهرب باقولك!

صاح قطز:

- أومال أنا قفشت مين على سور الفيلاً زي البرص؟ ها؟





لِمَ لا يحاول الهرب وهو قصير القامة ونحيف وفي بنطلونه  
ثقب؟ إن مواصفاته تتطابق مع مواصفات القاتل، كما أن فريدة  
رأته ممسكًا بالسكين ويهدد وداد بالقتل.

- إنت بتدخن يا سعيد؟

أجاب مترددًا وكأنني أبوه:

- آه.

- مش ثقيلة على صدرك السجاير الكليوباترا دي؟

ضحك متهكمًا، وقال متفاخرًا:

- يا باشا، أنا، لا مؤاخذة، صدري حديد.

نظرت إلى قطز، فهز رأسه موافقًا على أن علبة السجائر  
والولاعة اللتين وجدناهما في غرفة وداد تخصان سعيد.

- كنت بتعمل إيه في أوضة وداد الساعة اتناشر؟

حك رأسه قائلًا ببطء:

- والله، يا باشا، يعني.. كنت باكلمها في موضوع خصوصي

كده.

- موضوع إيه ده اللي يخليك ترفع سكينه على أمك؟

اتسعت حدقتا عيني قطز في اندهاش، بينما تعجب الفتى

قائلًا:

- هي شكرية اعترفت من أول قلم؟!!





شهقت شكرية قائلة:

- اعترفت على إيه يا واد؟! رفعت السكينة على وداد ليه؟  
قتلت أمك يا سعيد؟!

اندفعت من مقعدها وانقضت عليه كالضبع ممسكة بعنقه  
وصائحة:

- قتلت أختشي يا ناقص!

دفعها بقوة صائحًا:

- إوعي كده! إنتِ ما صدقتِ تلاقي جنازة تشبعي فيها لطم!  
سكينة إيه يا باشا؟! إنتِ جبت الكلام ده مينين؟!

- الناس شافوك ماسك سكينة الفاكهة وبتهددها.

- يا باشا دي كانت لحظة غضب. إنتِ فاهم غلط. أنا  
طلعتها الأوضة وشديت معاها بكلمتين، بس هي فهمتني  
الدنيا وأنا خرجت و...

- خرجت من الشباك ليه؟

صمت مرتبكًا، فقلت له:

- قول اللي حصل بالتفصيل عشان كده القضية لابساك يا  
روش.

حك رأسه، ثم زفر مبررًا:

- يا بيه، أنا خدت كاسين من اللي في الحفلة، والخمرة ونّت  
معايا. كنت طالب منها فلوس وهي قالت مش هتديني،





فطلعتها الأوضة وهددتها، بس اللي هو طلقتين في الهوا يا  
باشا، كلام في الكليتش يعني مش تهديد بجد، وهي نفسها  
كانت عارفة ده، وخذت مني السكينة وسابتها ع السرير،  
وسجدتني وقالتلي «أنا حطيتك فلوس في الحساب اللي  
فتحتهولك عشان تسدد ديونك». أصل أنا دخلت مشروع سايبير  
واتنصب عليّ، ومتداين لطوب الأرض وماضي على وصولات  
أمانة ومحتاج فلوس عشان ما اتحبسش، مش أكثر من كده  
يعني.

- وبعدين؟

- البقرة الضاحكة بنت البيه دي شافتني من خرم الباب،  
ونادت ع الحيزبونة اللي اسمها زينب، فوداد قالتلي أنط من  
شباك الحمّام قبل ما جوزها يشوفنا ويفهم غلط يعني لما  
يلاقي راجل في أوضة نومه، ما هو محدش يعرف إني ابنها  
غير شكرية، فنطيت من الشباك ورجعت أوضتي اللي في  
الجراج، وبعدها سمعت صوت.

قال قطز:

- المفروض بقى نصدق الهتشر ده؟ هددتها واتصالحتوا

ومشيت؟

- ورب الكعبة ده اللي حصل!

- أومال حاولت تهرب من الفيلاً ليه؟

- عشان ألحق أسحب الفلوس من البنك، أصل لو حد لقي

إنها حولتاهلي ممكن يشك فيّ.





قال قطز:

- إنت كداب فاشل يلاً!

- يا باشا والله ده اللي حصل بالسحتوت!

- فيه حد يشهد على إنك طلعت من أوضة وداد وهي لسه

عايشة؟

- يعني إيه؟

- يعني الكاسين لعبوا في دماغك، وكلمة منك على كلمة

منها طعتها عند باب الحمام، فهي جريت على البلكونة

تستنجد، فطعتها تاني من زهرها ورميتها من البلكونة،

وهربت إنت من شباك الحمام وخفيت السكينة...

صاحت شكرية وهي تنقض عليه ثانية:

- قتلت أختشي يا وسخ!

انتفض قائلاً:

- ورب الكعبة ما حصل!

أكمل قطز:

- طولك نفس طول القاتل، دخلت الأوضة وقفلت من جوه،

وجزمتك سابت آثار طين، ومسمار شباك الحمام نتش بنطلونك

وإنت بتهرب. شايل في قلبك غل وكره إنها بتتكرك قدام

الناس وكمان رافضة تديك فلوس وتعوضك، فخلصت عليها.

- تعوضني عن إيه يا بيه؟! تعوضني عن إنها جابتني من





الحرام ورمتني لغيرها عشان تستر فضيحتها؟! يا بيه، ده أنا  
رنا أنقذني منها ومن عيشتها النجسة!

- أومال قتلتها ليه؟

- وربنا وربنا وربنا ما قتلتها!

التفت إلى شكرية صائحًا:

- قوليله، قوليله إن إنت اللي جبتيني هنا ولعبت في دماغي  
بمفك عشان ناخد منها قرشين!

صاح في اتجاهنا:

- ما قتلتهاش! ده أنا باخاف من الدم! طب ورب العباد ما  
قتلتها!

صاح به قطز بنبرته الميري الخاصة بالتحقيقات:

- فين السكينة يلاً؟

- ورب الكعبة ما أعرف. أنا ما عملتش حاجة! إيه الافترا  
ده؟!

قال قطز وهو يخرج الكلابشات:

- هو إنت لسه شُفت افترا!

\* \* \*

قيّدت الكلابشات يدي سعيد الذي لم يتوقف عن البكاء  
والصياح والقسم بأنه لم يرتكب الجريمة التي تناسب مقاسه  
تمامًا. فما من شاهد على رحيله من غرفة وداد وهي على قيد





الحياة، كما أنه اعترف بنفسه أنه كان مخمورًا وغازبًا ولا يدرك ما يفعله، وليس من الصعب أن يكون الغل الذي يحمله في عقله الباطن قد دفعه إلى القتل.

يبدو الأمر في غاية البساطة، لكن حين يكون الأمر بتلك السهولة أتأكد من أن هناك خطأ ما.

وُضِع سعيد في سيارة الشرطة، ولم يتوقف عن الارتعاش والتشنج والصياح، حتى وصلنا إلى القسم كي تؤخذ أقواله ويجري التحفظ عليه إلى أن يُعرض على النيابة.

\* \* \*

جلست على المكتب لاهيًا بليمونتي الصفراء قائلًا لقطز:

- أنا مش مقتنع.

- بايه؟

- سعيد هيستفيد إيه من قتل وداد؟ لسبب ما أنا مصدق إنه نط من الشباك قبل ما تموت.

صمت قطز وقطب حاجبيه، ثم قال:

- الأدلة كلها ضده يا نوح.

- عشان كده إحنا متحفظين عليه. لكن فين الدافع؟

- عشان يشفي غليله.

- لو على الغليل يبقى الأولى إن شكرية هي اللي تقتلها بعد ما قضت عمرها تربيها وسترت عليها لما غلطت، وأول ما وداد





اغتنت طرقتها.

- بس شكرية كان عندها نبطشية في المستشفى وقت الجريمة.

- ده غير إنها جبانة ومش من النوع اللي يقتل. هي تهدد، تبتز، تسرق، لكن ما تقتلش.

- يبقى خلاص مفيش غير سعيد.

- مين المستفيد من موت وداد يا قطز؟ أو بمعنى ثاني مين المتضرر من وجودها؟

- نادين مرات يوسف، بس...

- بس هي مش عارفة إن وداد حامل، وفاهمة إن يوسف هيطلّقها وهيرجعلها.

- وكمان كانت في أسوان وقت الحادثة. يبقى يوسف نفسه؟ بس هو طويل، وكان هيتشاف في البلكونة.

- ممكن ما يبقاش هو اللي رماها، لكن هو اللي طعنها في الأوضة وحد غيره كمل.

صمت قطز للحظات، ثم قال:

- قصدك إن اللي قتلوا وداد اتنين مش واحد؟

- مفيش غير اتنين اختفوا وقت الحادثة، ومفيش شاهد على إنهم كانوا فين ويعملوا إيه بالضبط غيرهم هما الاتنين، فممكن يبقوا طابخينها سوا.



حاولت تخيل سيناريو معقول للجريمة، فبدأت أنطق بما ترسمه لي مخيلتي:

- يوسف وزينب دخلوا الأوضة، ويوسف قفل الباب بالترباس، ولمح سعيد قبل ما يهرب، فدمه فار وسحب سكينه الفاكهة في لحظة غضب، وطعنها الطعنة الأولى، فتتَّح والسكينة وقعت منه من الصدمة، لكن وداد جريت على البلكونة وصرخت. زينب خافت إن حد يسمعها ويوسف يتسجن، فخذت السكينة وطعنتها الطعنة الثانية وزقتها عشان تخلص منها وتحمي يوسف، وزينب أقصر من وداد.

حك قطز ذقنه مفكرًا، ثم نطق أخيرًا:

- احتمال معقول، والدافع موجود عند الاتنين، بس فريدة قالت إنها شافت باباها بيكسر باب أوضة وداد لأن أوضتها قدام أوضتهم بالضبط، فلو هو اللي قتل وداد كان عادي دخل وخرج من غير ما حد يشوفه، إيه الهدف من إنه يترس الباب من جوه وبعدها ينط من الشباك؟ وهنقول يا سيدي إنه غير البنطلون عشان ما يبانس قطع المسمار، بس ليه يرجع الأوضة تاني ويكسر الباب؟ لو كان فعلاً مصدوم ما كانس هيلحق يفكر ويخطط لكل ده. وبعدين زينب هتنط من الشباك إزاي بسنها ده؟ لفة طويلة أوي يا نوح.

أمسكت رأسي محاولاً مقاومة الصداع الذي يفتك بي قائلًا:

- أنا بافكر معاك بصوت عالي، بس أنا عندي إحساس كبير إن مش سعيد اللي عملها.



- أنا مش قادر أشك في حد غيره، وفي جميع الأحوال هيتعرض على النيابة وهما يحددوا. ولا أقولك؟ لما الساعة تيجي اتناشر، روح وداد هتظهر، ابقى روح اسألها.

زفرت وقد اشتد ألم رأسي:

- ما قداميش حل غير ده. معاك حاجة مسكّرة؟

- استنى نبعت عم حمدي يجيبلنا تودو براونيز و... .

- تودو براونيز إيه؟! أنا قاعد مع بنت أختي!

مددت يدي في جيبى متذكراً وجود حبتين من السكاكر التي اشتريتها لتالا وخبّأتها كالعفرينة في دميها الكبيرة و... .

دميتها الكبيرة؟!!

انتفضت من فوق الكرسي ساحباً مفاتيحي وقائلًا:

- قوم يا قطز بسرعة.

- بسم الله الرحمن الرحيم! فيه إيه؟!!

- أنا إزاي ما أخذتش بالي من اللقطة دي؟! فريدة هي اللي

قتلت ودادا!



إذا رأيت فريدة فستظنها مسكينة لا تقوى على إيذاء  
بعوضة، لكن ليس كل ما تراه حقيقياً!

كنت أستنكر أن فتاة في الثانية عشرة من عمرها في عصر  
الوأي فاي تتنقل حاملة دمية كبيرة محشوة بالقطن في يدها،  
لكنها الآن ذكرتني بتالا التي كانت تحمل ديبها القطني معها  
لأنها تخفي فيه سرها - الحلوى المخبأة - ولا تود أن تتركه  
يفارق حضنها حتى لا تتفحصه أمها وتكتشف أمرها.

هكذا فعلت فريدة!

لِمَ أكدنا على أن القاتل هرب من النافذة؟!

أليس واردًا أن يكون قد اختبأ أسفل السرير أو في الخزانة  
منتظرًا أن يُفتح الباب ثم يخرج من في الغرفة - يوسف وزينب -  
مهرولين نحو مدخل الفيلا لتفقد جثة القتيلة وسط الحضور، ثم  
يتسلل القاتل من الخزانة أو من أسفل السرير وصولاً إلى مكان  
آخر قريب؟

وأي مكان أقرب للغرفة التي حدثت فيها الجريمة سوى غرفة  
فريدة!

هكذا أتصور الأمر:

وصل بوكيه ورد مصحوبًا بكارت من نادين طليقة يوسف.

وداد رأت الكارت وشعرت بالغيرة، فتشاجرت مع زوجها.



سعيد لمح وداد تترك الحفل متجهة إلى غرفتها.

أطاف قدمت الكريم كراميل إلى فريدة المنشغلة بمتابعة فيلم رعب دموي.

وداد رأت أطاف فصاحت بها، وطلبت منها كوب الحليب وطبق الفاكهة، وفي خلال دقائق نفذت أطاف الأمر.

انشغلت وداد في تقشير التفاحة الحمراء، في اللحظة التي رأت فيها سعيد المخمور يدخل غرفتها بحذائه المتسخ بالطين صائحا، فخافت أن يراه أحد، فأغلقت الباب من الداخل بكامل رغبتها.

أمسك سعيد كوب الحليب وألقى به فاصطدم بالحائط وانكسر، وترنح ثم سحب السكين من فوق طبق الفاكهة الذي انقلب وتناثرت محتوياته، وهددها بالقتل في لحظة تهور.

سمعت فريدة الضجيج من غرفتها التي تبعد عن غرفة وداد بضع خطوات.

خرجت فريدة ونظرت من ثقب الباب لتراقب ما يحدث، بينما أخذت وداد السكين من سعيد ووضعت على السرير.

أتت زينب من خلف فريدة وتحديثا، فسمعتهما وداد، فجعلت سعيد يهرب من نافذة الحمام.

نزلت زينب على السلالم وأمرت فريدة بأن تعود إلى غرفتها، لكن فريدة من فرط فضولها لم تدخل غرفتها.

بعد أن هرب سعيد من النافذة، أخذت وداد نفسا عميقا



وفتحت الباب متظاهرة بأن شيئاً لم يحدث.

وداد رأت فريدة واقفة أمامها فصاحت بها، لعلها استفزتها أو شتمتها أو حتى ضربتها.

ربما سمعت وداد صوتاً قادمًا من الحمام، أو أنها اتجهت بالفطرة نحو الحمام لتتأكد من أن سعيد قد رحل.

ومحملةً بالكراهية، مشحونةً بكمّ كبير من المشاهد الدموية العنيفة في الفيلم الذي كانت تشاهده، لمحت فريدة السكين على السرير، وقد ألهمها مشهد تهديد سعيد لوداد بالقتل.

دخلت فريدة الغرفة، وأغلقت بابها من الداخل، ثم سحبت السكين، واقتربت من وداد الواقفة عند باب الحمام، وفي اللحظة التي استدارت فيها وداد طعننها فريدة بعنف في بطنها.

اندفعت وداد ضئيلة الحجم نحو الشرفة صارخة تطلب العون، فطعننها فريدة القصيرة ثانيةً في ظهرها، وعندما أدركت أن وداد لا تزال حية، انحنت المراهقة ذات الجسد القوي ورفعت قدمي الضحية ضعيفة البنية عن الأرض وأسقطتها من الشرفة.

استدارت فريدة لترحل بدم بارد، لكنها سمعت صوت أبيها وزينب وهما يقتربان، فاختبأت سريعًا تحت السرير أو في داخل الخزانة، وظلت هناك حتى كسر أبوها الباب ودخل وتفقد الغرفة ثم رحل الاثنان.

خرجت فريدة من مخبئها، وهرعت إلى غرفتها، فغسلت



سكينها وبديها من أثر الدماء، وغيّرت ملابسها، ثم التفتت حولها ولم تجد سوى دميتها المنتفخة الراقدة على السرير.

فتحت سَحَاب الدمية كما تفعل تالا، وأخرجت القطن ودفست السكين، ثم أعادت الحشو وأغلقت السَحَاب، وظلت متعلقة بدميتها حتى لا ينكشف أمرها.

\* \* \*

انزعج قطز من الفكرة وقال ونحن في طريقنا إلى الفيلا:

- لا لا لا! مستحيل!

- ليه؟

- ليه؟! إنت بتحاول تقنعني إن بنوته كيوت ت... .

- أولاً كلمة كيوت دي بتعصبي. ثانياً الجريمة جات بشكل عفوي بدون سابق تخطيط، وده يزود احتمالية إن هي اللي عملتها. العنف اللي بيتشاف في التلفزيون كل يوم، سواء أفلام أو مسلسلات أو حتى الأخبار اللي بتعرض الجثث كأنها جُبن عليه عرض في كارفور، بيأثر على نفسية العيال. مش كده وسر، هي حاسة بالخيانة من ناحية وداد اللي وثقت فيها وحبّتها وبعدها لقتها بتفرق بين أبوها وأمها، وكمان بتسيء معاملتها وبتتريق عليها وتتلطّشها في الرايحة والجاية ومحدثش بيمنعها، ويوم ما البنت اتعشمت إن أبوها وأمها هيرجعوا لبعض، وداد طلعت حامل وفرقت بين أهل فريدة للمرأة الثانية.



- بس يا نوح... .

- الضغط بيولد الانفجار، والناس بيتعاملوا مع عيالهم على إنهم أطفال مش فاهمين حاجة ولا عارفين اللي بيحصل حواليهم، وإنهم لما يكبروا هينسوا، بس عمرهم ما بينسوا! كل إهانة، وكل ضربة، وكل قسوة، بيشوفوها، بتتخزن جواهرهم، فطبعي تبقى دي نهاية وداد!

- طب على الأقل لو كانت هي اللي عملتها كانت تنهار، مش تبقى متماسكة ولا أجدعها سفاح!

- ممكن تبقى في حالة صدمة أو إنكار أو شايفة إن اللي عملته حلال في وداد، فما اتأثرتش، بدليل إصرارها على إن وداد تموت، طعتها مرة واتنين ورميتها من البلكونة، ده كان ناقص تفجر بيها الفيلاً!

بدأ قفز يقتنع، لكنه رفض الاعتراف بذلك وقال:

- عمومًا، نظرتك دي هتبقى صح لو لقينا السكينة في الدبدوب زي ما بتقول.

- تراهن على كام؟

\* \* \*

كانت الساعة السابعة صباحًا عندما دخلنا فيلاً يوسف، وكان يوسف مضطربًا عندما قابلنا قائلًا:

- خير؟

عجز قفز عن الرد، فقلت:





- إنت عارف إنا ما لقيناش سلاح الجريمة اللي هو سكينه  
الفاكهة، وسعيد ما اعترفش على مكانها، فشكينا إن حد  
خباها عند بنتك.

اضطرب قائلًا:

- عند فريدة؟! بس إنتو فتشتوا الفيلا حته حته، وقلبتوا  
أوضتها وما لقتوش حاجة!

- بس فيه مكان محدش فكر فيه. دمية الدبدوب الكبيرة  
اللي بنتك ماسكاها. هي متعودة تشيلها كده؟

- لأ. أنا حتى استغربت، بس قلت يمكن عشان خايفة من  
اللي حصل.

- ممكن أشوفها؟

- أكيد. بس هو مين ممكن يخبي السكينة في الدمية؟

كاد قطز أن يشرح له، لكنني أوقفته قائلًا:

- كل حاجة هتبان لما نفحص الدمية.

- مفيش مشاكل. لحظة أجيبها لكم و...

- لأ. إحنا هنطلع معاك نشوفها بنفسنا.

اضطرب، لكنه بلع ريقه قائلًا:

- اللي تشوفوه.

\* \* \*



وقفنا عند باب غرفة فريدة ذات اللون البرتقالي، التي تنتشر على حوائطها ملصقات أفلام الرعب بوحوشها البشعة ووجوهها الدامية ومشاهدها المرعبة، وكانت الفتاة البدينة نائمة في سريرها الكبير، تحتضن دميتها بشكل عنيف، وفور أن دخل والدها فتحت عينيها وقالت منتفضة:

- بابي؟!!

- حبيبتى، خليكِ نائمة، أنا هاخذ ال«teddy bear» بتاعتك وهاطلع.

نهضت مفزوعة، وأحكمت قبضتها على الدمية قائلة:

- ليه يا بابي؟!!

- الظابط عايز يشوفها.

- لآ، دي بتاعتى أنا، محدش هيشوفها!

تعجب الأب من اعتراض ابنته، بينما كانت مقاومتها - من وجهة نظري - تأكيدًا على نظريتي.

- حبيبتى، هنشوفها ونرجعها تانى بسرعة.

صاحت في أبيها صارخة:

- باقولك لآ، محدش هيشوف حاجتى!

جذب الأب الدمية ضجرًا، لكنها شدتها منه، وظلًا يتجاذبان أطراف الدمية المحشوة حتى انخلعت ساقها، فصاح يوسف بابنته:





- إيه الدلع ده يا فريدة؟!

من الساق المخلوعة التي تدلى منها القطن، سقط السكين  
الوردي محدثاً رنة على السيراميك الأبيض، ولمع طرفه الحاد  
عاكساً ضوء الصباح المتسلل من نافذة الغرفة.

شهقت فريدة واضعة يدها على فمها، بينما تعجب الأب  
وكاد ينحني لالتقاط السكين، لكنني أسرعته قائلاً:

- ما تلمسهوش، ده سلاح الجريمة!

شعر قطز بخيبة الأمل في اللحظة التي شعرت فيها بمشاعر  
لا أفهمها.

نصر ماسخ، وظفر مُر.

انفجرت فريدة باكية قبل أن ينطق أيُّ منا، وقالت:

- هي السبب، هي اللي عملت نفسها بتحبني وضحكت عليّ  
عشان تتجوزك، وبعدها بقت بتضربني وتشتمني وتتريق عليّ!  
تجمدت أطراف يوسف، وتيبست ملامحه وهو يتمتم بصوت  
مهزوز:

- هي مين يا فريدة؟

أكملت بكاءها ووجهها يكاد ينفجر من شدة حمرة:

- وداد! وداد الشيطانة! هي اللي خلّنتني أقتلها!

أسقط يوسف الدمية من يده، وفتح فمه، وشعرت أنه عاجز  
عن التنفس، بينما أكملت فريدة:





- هي اللي خلتك إنت ومامي تسيبوا بعض، وختت عمو حامد  
يمشي، وهي اللي ضربت زوزو، وسممت الهاميستر بتاعي  
عشان بتخاف منه. هي اللي شالت صور مامي من كل حته،  
وبقت بتطلع معاك في التلفزيون بدلها، وتقعده على السُّفرة  
مكانها، وتنام في سريرها، وتاكل في أطباقها. إنت ومامي  
كنتوا هترجعوا لبعض، بس هي حامل، عشان كده هتفضل طول  
عمرِك معاها، وهي هتفضل طول عمرها تعذبني! ما كنتش  
عايزة أخ منها! أنا كنت عايزة أعيش معاك تاني إنت ومامي،  
كنت عايزاكم ترجعوا لبعض! وداد تستاهل اللي جرالها! وداد  
تستاهل إنِّي أقتلها يا بابي!

\* \* \*

الجريمة لا سن لها.

أصبحنا في عصر يسهُل فيه سلب الناس أرواحهم!

ليس من الضروري أن تطعن أحدهم أو تلقيه من النافذة كي  
تصبح قاتلاً، فالقتل المعنوي سم بطيء المفعول ودائم الأثر.

كلمة واحدة قادرة على قتل أحدهم، هكذا يُصنع المجرمون،  
أيًا كانت طبقتهم الاجتماعية أو المادية، فالنفس البشرية  
واحدة.

كلنا كائنات تظن نفسها الأقوى، على الرغم من أننا  
الأضعف، فلنا قلوب سهلة الجرح، ونفسيات هشة قابلة  
للكسر، وعقول من السهل التلاعب بها، وذاكرة تُخلد كل ألم  
وجرح.





لم يعد من الإنساني أن نؤذي صغارنا ونؤلمهم سبًا وضربًا  
وسخرية وإهانة، طانين أنهم سيكبرون وسينسون، لأنهم في  
الواقع لا ينسون ولا يغفلون أبدًا عن آذوهم.

\* \* \*

أخرج قطز من جيبه العلبة البلاستيكية الصغيرة التي يضع  
فيها بذور القرنفل ذات الرائحة النفاذة، وأخذ بذرة داكنة اللون  
وبدأ في مضغها لسبب أجهله، ولم أكن في مزاج حسن لأسأله  
عن هذا.

لم يتوقف عن المضغ، وبينما يتصفح الإنترنت قال بنبرة  
مصدومة:

- يا نهار إسود! الأرقام في مصر بتقول إن فيه أكثر من ١٠  
آلاف طفل محكوم عليهم أو محبوسين احتياطي، ونسبة  
الجريمة المتورط فيها الأطفال زادت ٢٥٪ من بعد ثورة  
٢٠١١، ده غير نسبة المحكوم عليهم بسبب جرائم عنيفة  
تؤدي للحبس أكثر من ١٠ سنين، ده غير إن ٢٣٪ من إجمالي  
الأطفال المسجونين ٢٠٪ منهم ارتكبوا جرائم قتل عمد،  
و ٥٠٪ منهم سرقة ومخدرات!

لم أعلّق، وبقيت أحملق في السقف في حالة من الشعور  
بالذنب.

للمرّة الأولى أشعر بالندم بعد كسفي لهوية القاتل الحقيقي.  
حاولت أن أذكر نفسي بأنني أنقذت سعيد المسكين البالغ من  
العمر تسعة عشر عامًا من حبل المشنقة، وأنه أيضًا يعتبر



طفلاً بالنسبة لي، لكنني لن أنسى هذه القضية ما حييت، ولن يُمحي مشهد القبض على فريدة وهي تبكي من ذاكرتي، ولن أنسى تعبيرات وجه أبيها منكس الرأس.

ذلك الرجل اكتشف في ليلة واحدة أن زوجته كاذبة وليست حاملاً، فخسر ابناً كان يظنها تحمله في أحشائها، وخسر ابنة أصبحت قاتلة بسبب نزوة حمقاء وزواج متهور أقحم نفسه فيه، ولا أعلم كيف سيُكمل حياته وفوق كاهله كل هذا الذنب الذي اقترفه في حق ابنته الصغيرة.

اقرب قطز من الشاشة، وأكمل كلامه بنبرة أكثر غضباً:

- الحق يا عم، السنة اللي فاتت بس اتسجلت ١٥ ألف جريمة ارتكبتها عيال تحت سن الـ ١٨، منها ٤٧٣٠ قضية سرقة، و٤ قتل، و٢٢ قضية سلاح ناري، و٧٥ قضية سلاح أبيض، و٣٣٣ قضية مخدرات، و٤٠ قضية هتك عرض، و٨ قضايا دعارة.

هز رأسه ثم كرّر مصدوماً:

- دعارة؟! -

- ودوافع القتل معظمها خايبة واندفاعية. مش فاكر قضية العيّل اللي قتل صاحبه في سوهاج عشان اتخانقوا على زينة رمضان؟! ولا الطفلين اللي اتخانقوا في القناطر على سعر سماعات توكتوك وواحد فيهم قتل الثاني؟! أهو على الأقل فريدة كان عندها دافع منطقي.

زفر قطز، وأغلق اللابتوب بعنف، ثم قال بجديّة:



- ابقى فكرني لما أخلف، لا أخلي عيالي يتفرجوا على أفلام  
رعب، ولا أجيلهم دبايب كبيرة!

ضحكت مضيئاً:

- الأهم إنك ما تخونش أمهم مع دادة عشان حته طبق كريم  
كراميل!





## القضية الثالثة

### ست الحسن

١

لو رأى قائدو السيارات العالقون في زحام كوبري قصر النيل ما أراه الآن بعيني، لولوا فرارًا وقفزوا في النهر هلعًا.

على الكوبري العتيق، بين أبواق السيارات وصياح سائقها الغاضبين، انتشرت أرواح لأطفال تتراوح أعمارهم بين الثامنة والسابعة عشرة، يركضون بطريقة بهلوانية على السور الحديدي للكوبري، ويرقصون بشكل همجي فوق تماثيل الأسود الشامخة، ثم يقفزون في النيل أو يشبون على أسقف السيارات وبطيرون فوق رؤوس المارة وبائعى الفل والمناديل.

خمس عشرة ضحية من أطفال الشوارع، ماتوا نتيجة حالة تسمم غريبة أصابتهم في منطقة قصر النيل، وقد اتجه الصغار إلى المستشفى ولكن رفضوا استقبالهم لعدم توفر المال أو لعدم وجود مكان لهم، منهم من مات على سلم المستشفى، ومنهم من فاضت روحه على الكوبري، لكن ها هم الآن خمسة عشر طيفًا في حالة من الهرج والمرج، كأنهم في ملاهي السندباد، وكل هؤلاء البشر الذين يتدمرون من الاختناق المروري في ساعة الذروة يغفلون عن يطوفون وبعثون حولهم.

في وسط الأرواح التي غزت الكوبري، لفتت انتباهي روح



رجل في الستينيات من عمره، يقف متكئًا على السور بعيدًا عن الأطفال العابثين وهو يراقب الزحام في صمت، يرتدي كنزة من صوف غالي، ويلبس نظارة ذهبية، وله شعر فضي ناعم، وملامح دقيقة، توحى لك هيئته بأنه فيلسوف أو فنان، يتأمل النيل تارة، وبيتسم لأرواح الأطفال اللاهين من حوله تارة أخرى، وقد بدا وجهه مألوفًا لي، ولكني لا أتذكر أين رأيته من قبل.

ارتابت روح الرجل الأنيق من تحديقي المطول إليها، فأبعدت نظري سريعًا قبل أن تدرك أنني أراها، ثم أكملت قيادتي متجهًا إلى القسم، متسائلًا إن كان ذلك الرجل الأنيق قد مات مسمومًا كباقي الأطفال.

\* \* \*

في طريقي للجلوس على مقعدي، أخبرني قطز برغبة اللواء رشوان في رؤيتنا، فتوجهنا إلى مكتبه بعد أن لمّع قطز حذاءه وهذب شعره ورش من عطره وكأنه على وشك مقابلة خطيبته.

طرقنا الباب ثم دخلنا إلى المكتب الواسع ذي الأرضية اللامعة والخشب الأنيق، ورحب بنا سيادة اللواء صاحب الوجه المستدير والعينين الضيقتين والأنف المعقوف، ثم قال بصوته الخشن:

- أكيد سمعتوا عن حادثة أطفال الشوارع اللي اتسمموا من كام يوم.

أجبتة:





- أكيد سيادتك.

- خدتوا بالكم من تلميحات العيال بتوع النت، واتهامهم للداخلية بإنها هي اللي سممتهم عشان تخلص منهم زي ما حكومة البرازيل ضربت أطفال الشوارع بالنار؟

قال قطز:

- يا فندم، لما القضية تتحل ونكشف الفاعل الحقيقي هيتخرسوا خالص.

- عدى أسبوعين وما تمش التوصل لأي شيء!

أخذ نفسًا عميقًا وأكمل:

- أنا منبهر بالشغل اللي إنتو الاتنين عملتوه في الفترة اللي فاتت، خصوصًا في قضية طه عبد اللطيف، عشان كده قررت إنكم تسيبوا أي قضية في إيديكم دلوقتٍ وتنضموا لزمائكم اللي شغالين في الموضوع ده. فكرت أديها لحد قديم، بس كلهم بيفكروا في نطاق محدود، ويحطوا افتراضات تقليدية، والموضوع دلوقتٍ اتحول لقضية رأي عام والوزير نفسه متابع، لأن أصابع الاتهام بدأت تتوجه لينا. أنا واثق إن التسمم الجماعي ده مش صدفة، زي ما أنا واثق بالظبط إن إنتو الاتنين هتقدروا توصلوا لإجابة منطقية للي حصل ده.

علقت قائلًا بثقة مفرطة:

- وإحنا قد ثقتك يا سيادة اللوا.

أضاف قطز:



- إن شاء الله هنلاقي اللي عملها.

ابتسم اللواء رشوان، وأضاف بحميمية:

- طريقة شغلكم سوا بتفكرني بأهلكم، يحيى وأنور، كانوا لما يحطوا قضية في دماغهم بيحبوا قرارها.

قال قطز ممازحًا:

- طب والنبى يا سيادة اللوا تبقى تقول الكلمتين دول قدام بابا، عشان يبطل يقولي يا خايب في الرايحة والجاية!

ضحك اللواء فاهتزت كرشه الكبيرة، ثم علق:

- ما هو ده الفرق اللي بيني وبين سيادة اللوا أنور، هو مش شايف أمل في جيلكم، في حين إن أنا مؤمن بإنكم قادرين على صنع المعجزات.

\* \* \*

جلس كلانا إلى المكتب الذي تعلوه الأوراق ونتائج المعامل، بعد أن أطلعنا زملاؤنا على ما توصلوا إليه في القضية، لنكتشف أنهم في الواقع لم يتوصلوا إلى أي شيء.

سألت قطز وأنا أدرس ملف القضية:

- تطلع إيه مادة الأترويين دي؟

- المادة اللي اتسموا بيها.

ونظر إلى التقرير:

- جرعة زائدة من مادة الأترويين.



- مخدرات دي يعني ولأ إيه؟

أخذ ورقة وبدأ في قراءتها:

- مكتوب هنا، مادة تُستخدم كقطرة لتوسيع حدقة العين أثناء العمليات الجراحية والتهاب العنبيّة، وتعالج ببطء القلب والقولون العصبي والقرحة، وتُستخدم كترياق ضد التسمم بفطر عيش الغراب والمبيدات الفسفورية العضوية و...

- انجز يا قطز! ده سم ولأ دوا؟

- اللي فهمته إنه مادة بتستخدم في صناعة الأدوية، بس زي أي حاجة في الدنيا، لو زادت عن جرعتها بتتحول لسم.

- يبقى نشوف مين اشترى أي دوا فيه المادة.

- الشباب عملوا كده، لقوا إن كل اللي اشتروه في الفترة اللي فاتت كانوا من مرضى القلب، وجابوه بروشته وبالجرعة المحددة. الطب الشرعي قال إن المادة اللي مات بيها الأطفال هي المادة الخام للسم مش المستخدمة في الأدوية.

- وإيه مصدر المادة الخام للسم ده؟

- مش عارف.

- نبقى نعدي على طارق نسأله، يعشق هو السموم زي عينيه!

هز رأسه موافقاً وهو يكمل قراءة التقرير، ثم أضاف:

- بيقولك إن السم دخل الجسم عن طريق الأمعاء، يعني اتحط في أكل أو شرب.



- حلو، إيه بقى الشيء اللي أكل منه خمستاشر عيّل في نفس التوقيت؟

زفر قطز قائلًا:

- حسبي الله ونعم الوكيل في اللي موّت العيال دي على سلالم المستشفيات كده! تعرف إني فرحان إن الموضوع سخنان والعيون على القضية! حق العيال دول لازم يبجي!

- هيبجي، بس إيه الدافع ورا تسميم خمستاشر عيّل؟

- تلاقية توربيني جديد.

- التوربيني كان بيغتصب أطفال الشوارع وبعدها يقتلهم، لكن المرّة دي محدش من العيال دول اتعرض للاغتصاب أو السرقة أو الضرب، اتقتلوا وس.

- يمكن شغل عصابات في بعض، معظم أولاد الشوارع متورطين في تهريب مخدرات أو اتجار.

- ما أظنش إن عصابة مخدرات هتقتل بالسم، معظمهم بيستخدموا طرق عنيفة وهمجية. السم طريقة منتقم ذكي بس جبان وبيخاف يواجه، ده مش شغل عصابات نهائي.

\* \* \*

كعاداته، دخل صلاح بملابسه ذات الألوان الفاقعة المؤذية للنظر بلا استئذان.

في الغالب، لا يمر على مكتبنا إلا لثلاثة أسباب: كي يتباهى بأمر ما، أو لكي يطلب منا طلبًا سخيًا، أو لأن رائحة الطعام





الذي نتناوله جذبت حاسة شمه التي تفوق حاسة شم الكلاب.  
وبالنظر إلى هذه العلبة الحمراء الملفوفة بطريقة رخيصة التي  
يحملها في يده، أظنه أتى ليتفاخر بأمر ما.

- إيه يا نكدي منك له؟ بتعملوا إيه؟

لم ألتفت إليه، وانشغلت بقراءة الملف، بينما نظر قطر إلى  
العلبة بفضول وقال:

- دي هدية الفالتاين؟!

تظاهر صلاح التافه بأنه فوجئ بالعلبة في يده، ثم قال بتباهٍ لا  
داعي له:

- إيه ده؟ إنت خدت بالك؟

داعب شعره الذي تفوح منه رائحة الجيل المقيته:

- دي البت سماح، جايبالي برفان عشان عيد الحب. إنت  
عارف تفاهة النسوان.

- تفاهة؟! كتر خيرها إنها عبرتك.

- دي أقل حاجة يا ابني، دا أنا مغرقها كروت شحن. بس  
والله أحسن من البت سوسن اللي جايبالي دبدوب محمياه في  
جردل ترتر أحمر.

ضحك كاشفاً عن أسنانه الصفراء:

- النسوان لسعت يا جدع. أنا يتجابلي دبدوب أحمر؟!

فاكراني خريج تجارة إنجليش؟!





ضحك ضحكته الأقرب إلى نباح الكلب، ثم أكمل:

- لما نشوف نجوى هتجيبلي إيه هي الثالثة، على الله تكون حاجة ليها لازمة.

التفت إليّ قائلاً:

- سيادة النقيب لمونة ساكت ليه؟

أجبتُه بفتور ومن دون أن أرفع عيني عن الأوراق:

- مشغول.

- مشغول في إيه يا ابني إنت؟

- هو أنا مش قلتك تبطل كلمة «يا ابني» دي؟!

- هو أنا باسبلك؟!

التفت إلى قطز قائلاً بسخرية:

- ما تقول لصاحبك ينزل من فوق البرج اللي بيكلمنا منه

ويتعامل معنا عدل، إحنا مش شغالين عند الست الوالدة.

قلت بهدوء:

- باقولك يا صلاح، خد هديتك ونسوانك وشنبك وجيل لولوا

اللي في شعرك ده واتكل على الله!

- آآآآآه، أنا برضو قلت كده، محروق إنت عشان جالي ثلاث

هدايا وإنت سنجل منتن محدش معبرك!

وضحك ساخرًا:





- يا رجاله، صفوا نيتكم عشان ربنا يكرمكم.

قلت ببرود:

- يكرمنا بإننا نبقى زيك؟! عندك أربعة وتلاتين سنة، ومطلق  
تلات مرات، ومتجوز اتنين عرفي، ومخلف أربع عيال كل واحد  
فيهم من واحدة شكل!

ضحك الضحكة نفسها، وقال:

- طب يمين تلاته بتغيروا مني. معلش، بكرة يجيلكم عدلكم.

ضحك ثانية:

- صحيح، وصلتوا لإيه في القضية بتاعة العيال اللي  
اتسمت؟ أنا كنت هاشتغل فيها بس اللوا رشوان شاف إنها  
قضية تافهة وصغيرة عليّ أوي.

أدرت عيني في محجريهما، وزفرت ضجرًا، فهذا هو صلاح،  
يُتْفَه ويُحَقَّر من شأن أي شيء يخفق فيه، ويقلل من قدر مَنْ  
ينجح فيه حتى يهون فشله على نفسه.

لم أعره اهتمامًا، بينما أكمل منفعلاً:

- شوية عيال كلوا من الزبالة ولا اشتروا أكل حمضان وماتوا،  
إيه بقى الهليلة الكبيرة اللي اتعملت دي؟! والجرايد العالمية  
تتكلم عن حقوق الإنسان وإهمال المستشفيات و...

قاطعه قطز متضايقًا:

- ما هو لو كان عيّل من عيالك اللي اتسمم ما كنتش قلت



كده!

احتدت نبرة صلاح:

- إنت هتجيب عيالي لجرايع الشارع؟! أنا موفرلهم أحسن عيشة، وهاطلعمهم بني آدمين مش بلطجية وكوليجية يرازوا في الخلق!

التفت إليّ مضيفاً:

- إيه يا سي نوح؟ نسيت جارك اللي عيّل من دول ثبّته وغزه؟  
ولّا البنات اللي بيغتصبوهم؟ إيه يا جدعان! العيال دي موتها راحة، بلاش خوته دماغ!

- أولاً ما تجيبش سيرة جاري الله يرحمه تاني نهائياً. ثانياً  
إنت معندكش ذرة إنسانية، اللي بتتكلم عليهم دول أطفال عندهم سبع وتمن سنين، وكل القرف اللي هما عايشين فيه ده بسببنا، مش عارفين نوفرلهم حياة كريمة ولا مأوى يلهمهم!  
يعني إيه عيّل يتسمم وما يلاقيش دكتور ينقذه؟! يعني إيه يسيبوه يموت على السلم زي الكلب عشان ملوش أهل؟!!

- والله محدش خلاه يهرب من بيتهم ويعيش في الشارع، ولا أجبر أمه على إنها تجيبه من الحرام وتبلينا بيه. بناقص الأشكال الوسخة دي!

أغلقت الملف الذي أقرأه وقد طفح بي الكيل، وأجبت صلاح بنبرة صارمة:

- أمثالك يا صلاح، اللي مديين نفسهم الحق في تحديد مين



يستاهل يعيش ومين يستاهل يموت، هما اللي جايبنا ورا! روح شوف البت نجوى جايبالك إيه، وسيبنا نشوف شغلنا!  
- وهو شغلكم حماية ولاد الشوارع والبلطجية و... .

- شغلنا حماية الأرواح والأعراض والأموال، ومنع الجرائم وضبطها، وكفالة الطمأنينة والأمن للمواطنين في كافة المجالات. مش دي المادة الثالثة من القانون ١٠٩ اللي إنت فالقنا بيه ومش حافظ منه غير اللي على مزاجك واللي لصالحك وس؟!!

ضحك متهكمًا وقال:

- قلب خساية يا أخويا منك له!

وخرج متمتمًا:

- جاتكم خيبة!

رحل عن مكتبنا بعدما سحب كل الأكسجين من الغرفة، فقال قطز:

- أنا مش مصدقه بجد!

- عادي يعني، صلاح طول عمره حيوان وأفكاره... .

- مش قصدي على أفكاره. أنا مش مصدق إن صلاح المعفن تيجيله ثلاث هدايا في الفالنتاين وأنا قاعد زي قرد قطع كده! ده ظلم!

زفرت قائلًا:





- طب قوم، قوم نروح لطارق يا خيبتها!

\*\*\*

في طريقنا إلى صيدلية طارق في جاردن سيتي، رأيت السيدة فتون، ذات القامة الطويلة، والجسد النحيف، والبشرة السمراء، والشعر الأسود «جارسون»، والملامح المتطابقة مع نفرتيتي. كانت تقف في محل الورد الذي افتتحه أبوها في خمسينيات القرن الماضي، ليصبح أول محل يستخدم منظر الشلال الصناعي والمياه الجارية على الزجاج الخارجي.

لهذه السيدة الغيداء معزة خاصة في قلبي، فقد اعتادت أن تعطي لجدتي ما لا يقل عن خمسة برطمانات من مربى التوت التي تصنعها في المنزل، والتي أعشقها بشكل يفوق الوصف، وأكاد أجزم بأنني سأصاب يوماً ما بمرض السكرى من فرط تناول مربى جارتنا فتون.

لست الوحيد الذي يعشق هذه السيدة ذات الصوت الوديع واللمسات الحنونة، فالجميع يحبونها، ليس فقط لأنها صاحبة أرقى ذوق في اختيار الهدايا وتزيين باقات الورد، بل لأن السيدة فتون البالغة من العمر خمسة وخمسين عاماً امرأة ملائكية، خلقت لتنشر البهجة بيننا، ففي كل مناسبة تنزل الشوارع وتوزع الورد على الناس، في عيد الشرطة تتجه إلى قسم قصر النيل وتوزع الورد الأبيض على الضباط والعساكر والأمناء، وفي الصيف توزع المياه الباردة على عساكر المرور لترحمهم من حرارة الجو، وفي عيد الفطر توزع علب الكحك بالملبن على حارسي العقارات والباعة الجائلين، وفي عيد



الحب تضع تخفيضات خرافية لا مثيل لها على باقات الزهور،  
وتقف أمام محلها بعربة بلاستيكية مزينة بشكل مبهج وكلما  
مر أمامها حبيبان أعطتهما وردة مجانية بابتسامة تأسرك.

لمحتنا عندما نزلنا من السيارة. ولم يكن حب قفز لها يقل  
عن حبي، وفور أن رآها أقبل عليها، وقبّل وجنتيها، فعانقته،  
وشخّشت أساورها الفضية ذات الرموز الفرعونية وهي تقول:

- الظباييط الحلوين عاملين إيه؟

أجبتها مازحًا:

- مفيش حد في الكوكب بيقول «ظباييط» دي غيرك!

- عشان أنا مفيش مني اتنين يا ولد.

- لا منك ولا من مرتك. وبالمناسبة هي ال... .

- المربي بتاعتك هتوصلك قريب، المرة دي أنا عاملها

بطريقة جديدة هتخليك تاكل صوابك وراها. مش هتشتري

ورد؟

أجابها قفز:

- لمين يا حسرة؟!!

- للبنوتة اللي بتحبها.

أجبتها:

- بنوتة مين يا طنط؟! صباحك مربي!

- الكلام مش ليك يا أبو قلب ناشف. قولي إنت يا قفز،





مفيش حاجة كده ولا كده؟

أجابها ساخرًا:

- يووووووه، ده فيه وفيه وفيه. ماما الله يباركلها عايزة

تجوزني «استشهاد»!

تعجبت قائلة:

- استشهاد! مش دي بنت خالتك رتيبة؟

- هي. طب بدمتك أنا أتجوز واحدة اسمها «استشهاد»؟

أجبتة ساخرًا:

- ده على أساس إن اسمك «لؤي»؟!

قالت السيدة فتون بحيادية:

- بغض النظر عن اسمها، إيه اللي مش عاجبك فيها؟

- مش باحبها يا طنط! ده أنا ما باطيقش خالتي نفسها، أقوم

أتجوز بنتها وأخليها حماتي؟!

- إوعى تتجوز غصب عنك يا قطز. مش كفاية خلوك ظابط

بالعافية!

- والنبي قوليلها عشان أنا خلاص الخطوة الجاية هابلع

حبوب وأنتحر!

- بمناسبة الحبوب، هنروح لطارق في الصيدلية ونرجعلك

تاني، مش عايزة حاجة يا طنط؟



- لآ يا حبايبي. في رعاية الله.

\*\*\*

دخلنا الصيدلية التي تدلت على بابها ستائر من القلوب البلاستيكية المزعجة، ووضعت على واجهتها الزجاجية ملصقات لملائكة محلقة بمناسبة عيد الحب الرتيب الذي انتشرت زينته الحمراء كالجدرى في المقاهى والمحال فى القاهرة.

وجدنا طارق جالسًا تحوطه أرفف الأدوية، مشدودًا بكل حواسه إلى شاشة التلفزيون الذي يعرض مسلسلًا وثائقيًا على قناة «ناشيونال جيوغرافيك»، حتى إنه لم يلاحظ دخولنا، فصحت به مباغتًا إياه:

- طارق!

جفل المسكين وراح يتلفت حوله كمن سمع عفريتًا:

- حرام عليك يا نوح!

- دا إنت لُقطة. أي عيّل نص سوا هيدخل يقلبك ويطلع وإنت

ولا حاسس!

نظر قطز ناحية شاشة التلفزيون المعلقة على عمود الجدار،

وسأل طارق باهتمام:

- مش ده مسلسل «العبقري» بتاع قصة حياة أينشتاين؟

- آه، إنت متابعه؟





- طبعًا. سُفت الحلقة لما اتحدى البروفيسور فيليب لينارد في  
المحاضرة؟

- آه، ولما اتخاقت مع ميلفا مارتش، و...

قطعت حماسهما العلمي، إذ كلما اجتمع قطز وطارق، لا تجد  
نهاية لحديثهما الثقافي:

- والنبي اقلوا صفحة ويكيبيديا اللي فتحتها دي، واطفيلنا  
التلفزيون ده عشان عايزينك في موضوع مهم.

اضرب طارق قائلًا:

- فيه إيه؟! نادية اشتكتك من حاجة؟

- وهي نادية محتاجة تشتكي لحد؟! دي تخلص لوحدها على  
طول!

أطفأ التلفزيون قائلًا:

- إنت هتقولي! أومال إيه سبب الزيارة الكريمة دي؟

أجابه قطز:

- عايزين منك معلومات عن مادة اسمها الأثروبين.

- آه. دي موجودة في بعض أدوية القلب وقطرة لتوسيع حدقة  
العين في العمليات و...

- عارفين الكلام ده، بس عايزين نفهم هي سم ولا مخدر.

- نسبة الأثروبين الموجودة في الأدوية اللي في الصيدليات  
مش مخدرة، ولا بتسبب الإدمان، لكن المادة الخام للأثروبين



بتسبب هلاوس، وفي العصور الوسطى كانوا يستخدمونها كمخدر.

- والمادة الخام دي بتتجاب مينين؟

- من مشتقات قلوبدات الأتروبا الموجودة في نبتة البيلادونا، أو بالعربي شجرة ست الحسن. أعراض التسمم بيها بتبدأ بعد حوالي ساعتين تلاتة من هضم السم، وكل ما كانت الجرعة أكبر كل ما كان ظهور الأعراض أسرع، إلا لو كان السم اتحط في وجبة دسمة فالتأثير بيبقى أبطأ.

- والسم ده بيتباع فين؟

- الحصول عليه صعب جدًا، لازم تجيبه من المعامل أو من الشجرة نفسها.

- الشجرة دي بتزرع في مصر؟

- ما أقدرش أفيدك في الحتة دي، لكن خليني أكذلك إنه صعب جدًا تلاقي سم الأتروبين في أي مكان.

\*\*\*

جلسنا في مقهى البستان بعد أن اشترينا الساندويتشات من فلفلة، وطلبنا المشروبات الساخنة.

ارتشفت القهوة، بينما ظل قطز يحدق في صمت إلى مصباح الإضاءة باريسية التصميم، فظننته يراجع معلوماته التاريخية عن ماضي مقهى البستان أو تاريخ إنارة العمود أو أي من تفاصيل قطز الثقافية الغربية، لكنه قال:





- البيلا دونا دي سمعت عنها قبل كده، مش فاكر فين، بس واثق إن حد مهم مات بسمها.

- لحد ما تفتكر، عايزين نعرف السم اتحط في إيه.

- باقولك يا نوح، الدنيا هادية وضلمة، ما تيجي.

نظرت إليه بارتياب:

- آجي إيه بالضبط؟! اتعدل!

- تيجي نكلم أرواح العيال.

- آه. أنا كنت ناوي أعمل كده.

وزفرت قائلاً:

- رينا يستر!

- ليه؟ فيه إيه؟

- فيه إيه؟! أصلك ما شفتش العيال دول بيعملوا إيه على

الكوبري!

\*\*\*

يزداد نشاط الأرواح ليلاً.

هكذا أمسى لعب الأطفال ومرحهم هستيرياً.

كان الكوبري خالياً من المارة والحركة عدا صريخ وصياح أرواح الأطفال الذين يتنادون بصوت عالٍ، ويركضون على السور كالبهلوانات، ويجرون خلف بعضهم ويلعبون الغميضة.





أراد قطز أن يأتي معي، لكنني لا أشعر بالراحة عند التحدث مع الأرواح أمام الأحياء، فأصرت على الذهاب بمفردتي، ووصفت سيارتي على جانب الكوبري ونزلت منها ممسكًا بالليمونة.

وقفت مترددًا، فأنا لم أتحدث يومًا مع هذا العدد الكبير من الأرواح في الوقت نفسه، ولم أرَ أرواحًا بهذا النشاط من قبل. كانت أصوات ضحكهم ومرحهم عالية، لا أظن أنهم كانوا بهذه السعادة وهم أحياء. داروا حول أنفسهم في دوائر وهم يلعبون، فشقت الليمونة نصفين، وإذ بالأطفال كلهم يلتفتون نحوي ويحدقون إليّ بطريقة مريبة، فقلت مترددًا:

- السلام عليكم، أنا نوح ال... .

قبل أن أكمل جملتي، ركضوا نحوي مهللين، وهجموا عليّ كمحاربي طروادة. امتدت أيديهم الشبحية لانتشال الليمونة من بين أصابعي قائلين:

- لمون، لمون، لمون.

صحت بهم محاولًا أن أخفي الخوف والرجفة اللذين أصاباني:

- بالراحة، بالراحة!

تراجعت، لكنهم ظلوا يطوفون حولي بحماس طفولي مزعج وحيوية مفرطة، حتى التصق ظهري بالسور ولم يعد هناك مفر، فتحول خوفي إلى غضب:





- ابعدوا! انصرفوا يا بقرا!

لم أعد أحتمل الطاقة الكهرومغناطيسية المتولدة عن خمس عشرة روحًا يعانون من نشاط مبالغ فيه، فألقيت الليمونة جهة النيل، فحلقوا في الهواء وطاروا خلفها ونزلوا في النهر.

شعرت بالوهن مع تسارع نبضات قلبي وخفقانه، فابتعدت عن السور لاهثًا. وقبل أن أصل إلى سيارتي، ظهرت أمامي روح الرجل ذي الشعر الفضي والكنزة الصوفية قائلة:

- إنت شايفنا، صح؟

حاولت أن أنظم أنفاسي وألا أعلق مع روح جديدة، لكنه أضاف بابتسامة هادئة:

- هتعمل نفسك مش شايفني زي كل يوم؟

أخذت نفسًا عميقًا، ثم قلت بهدوء مستسلمًا:

- السلام عليكم، أنا نوح الألفي.

مد يده ليصافحني قائلاً برُقي:

- وعليكم السلام، أنا ياسين الجارحي.

- بلاش لمس، الله يباركلك!

لم يفهم ياسين ما قلته، لكنه أخفض يده ونظر إلى الأطفال الذين بدأوا يخرجون من النهر ليكملوا لعبهم، وقال:

- مساكين! فاكرين نفسهم اتحولوا لأبطال خارقين مش إنهم

أرواح ميتين!





- إنت اتكلمت معاهم؟

- دول هما اللي مسلييني. صحيح، إنت شايفنا إزاي؟ وسيط  
روحاني زي الأفلام الأمريكياني؟

- حاجة زي كده.

- واكتشفت الحكاية دي إمتي؟

لم أكن في مزاج لأقص عليه حكايتي مع جبل الموتى،  
فغيرت دفة الحديث قائلًا:

- إنت مُت إزاي؟

- كنت قاعد في عربييتي ومُت فجأة بدون أي مقدمات.

- بالبساطة دي؟

ابتسم قائلًا:

- هو الموت لازم يبقى معقد؟

- أنا بس عشان متعود إن الناس يا بتموت مقتولة، يا  
مسمومة، يا مدبوحة، وكون حد يموت موته طبيعية ده اختراع  
بالنسبة لي.

تأملت ملامحه لثوانٍ، ثم علقت مضيئًا:

- أنا شُفتك فين قبل كده؟

- إنت بتنحلي كل يوم وإنت معدي على الكوبري.

- مش قصدي وإنت ميت، شُفتك وإنت حي.





- لو بتروح الأوبرا فأكيد شُفتني، أنا مايسترو و... .

- أيوه صح، ياسين الجارحي. أنا جدتي حضرتك حفلة قبل كده وختنتي أصورها معاك.

- فعلاً؟

- جدتي بتحب الأوبرا جدًّا.

- ده شيء عظيم! قولي يا... .

- نوح.

- قولي يا نوح، إنت عايز إيه من الأطفال دول؟

- أنا باحقق في قضية قتلهم.

- أخيرًا حد قرر يجيب لهم حقهم! طب وصلتوا لإيه؟

- اتقتلوا بمادة سامة، كان فيه حد قاصد يقتلهم، مش صدفة ولا أكل بايظ.

- وكنت عايز تكلمهم في إيه؟

- كلوا إيه؟ أو شربوا إيه؟ مين اللي أكلهم؟ أي معلومة تفيدنا. بس هم مهيبين بزيادة زي ما إنت شايف.

ثبت نظارته الذهبية على أنفه، ثم قال:

- لعلمك، دول أطفال لطاف جدًّا، محتاجين بس شوية صبر.

- أصل أنا مليش خُلق للعيال!

- أنا ممكن أكلهملك. شوف عايز تعرف إيه وأنا أسألهم.





- لو عملت كده يبقى كتر خيرك و... .

- بس محتاج منك خدمة صغيرة.

كنت واثقًا من أنه لا توجد روح ميت تقدم مساعدة مجانية  
في هذا الزمن، فقلت له:

- خدمة إيه؟

- قول لبنتي الكبيرة بابي يقولك ما تتجوزيش كريم.

حككتُ ذقني قائلاً:

- بابي مين؟

- أنا. روح لبنتي و... .

قاطعته ساخرًا متخيلاً مشهد لقائي بابنته:

- أروح لبنتك أقولها أنا شُفت بابي الميت على كوبري قصر  
النبيل لابس بلوفر صوف، ويقولك ما تتجوزيش كريم، آه،  
نسيت أعرفك بنفسي، أنا نوح الألفي اللي بيشف الأرواح؟!

- أكيد مش هتقولها كده، إنت ذكي وأكيد هتلاقي طريقة. أنا  
اكتشفت إنني أقدر أروحها بمجرد ما أفكر فيها، بس هي لا  
بتشوفني ولا بتسمعي!

- اطلعها في الحلم وكلمها.

- إزاي؟

- اقف عند طرف سريرها وهي نائمة واتكلم معاها، الروح





بتن فصل عن الجسد في وقت النوم وتتقدر تشوف أرواح  
الميتين.

- إنت متأكد من الكلام ده؟

- على ضمانتي.

أغلق عينيه ليرحل، لكنني استوقفته:

- استنى، رايح فين؟

- هاروح لبنتي قبل ما تتجوز.

- أكيد بنتك مش هتتجوز وأبوها لسه ميت، فممکن نستنى

ونشوف موضوع العيال ده الأول؟

- إنت مش فاهم! أنا اللي ضغطت عليها عشان تستمر في

الخطوبة. في الأول كانوا بيحبوا بعض، وبعد ما اتخطبوا

وميعاد كتب الكتاب قرب قالتلي «أنا عايزة أسيبه يا بابي

عشان حاسة إنه بيخوني»، بس أنا افكرتها بتتدلع أو إن دي

غيرة بنات ملهاش لازمة، فرفضت، خصوصًا إن والد كريم

يبقى صديق عمري وما أقدرش أبقى في موقف محرج زي ده

معاه، لكن لما مُت وبدأت أراقب تصرفاته اكتشفت إن عندها

حق، وإنه فعلاً حقير وبيخونها، وأنا مش...

- مش عايز بنتك تكمل حياتها مع واحد خاين بسببك، مفهوم

مفهوم. ساعدني بس في القضية دي وإن شاء الله كله هيبقى

تمام.

- طيب، عدِّي عليّ بكرة في نفس التوقيت.









أجابه الطفل بصوت يلهث من بين دهونه وشحومه:

- أنا بطل خارق وراكب أسد!

- طب انزل دلوقتِ ونبقى نركب الأسد بعدين يا بطيخة.

- اسمي سوبر بطيخة!

- طب انزل يا سوبر بطيخة عشان تساعدنا. مش السوبر

هيروز بيساعدوا الناس؟

زفر الطفل، وقفز من فوق التمثال، بسترته الممزقة وخذائه  
المثقوب وبنظونه المتسخ، ليقف أمامنا لاهثًا، فقال له ياسين  
بحنان:

- بطيخة يا حبيبي، احكِ لأنك إنت شُفت إيه.

حك رأسه قائلاً:

- هه؟ بتقول إيه يا أستاذ ياسين؟

اقتربت منه قائلاً:

- إنت شُفت إيه يا بابا؟

- هات بورجار وأنا أقولك.

- إيه؟!!

- طب هات بوزو.

- يا حبيبي إنت مُ... .

- هات بيبس طااه.





- اللهم طوّلك يا روح!

زفر وأشار لي أن أقترّب:

- تعال أقولك في ودنك.

اقتربت، فبدأ يهمس في أذني بعد أن ظل يتنفس فيها لفترة  
طويلة:

- معاك ملبس؟

صحت به:

- يا ابني! يا ابني ما تخنقنيش بقي!

قال ياسين:

- بطيخة يا حبيبي، هنديلك اللي إنت عايزه، بس قوله اللي  
حكيت هولي.

أشار إليّ أن أقترّب ثانية، فقلت معترضًا:

- إنت بتوشوشني ليه؟! ما تحكي وتخلصني!

بكي صائحًا:

- إنت بتزعقلي؟! طب والله ما هاحكيلك حاجة!

كاد أن يرحل، لكنني استوقفته قائلاً:

- خلاص يا حبيبي، أنا راجل قليل الأدب. اتفضل احك.

مسح دموعه قائلاً:





- هات ودنك.

أطعته مضطراً، فبدأ يتكلم ببطء ويتنفس بصعوبة بين الكلمة والأخرى:

- فيه راجل سايق عربية سودا كبيرة وزَّع علينا عصير بتنجاني.

- بتنجاني؟!!

- لونه بتنجاني وطعمه مسكّر. كلنا شربنا منه ووطننا وجعتنا. رُحنا المستشفى بس من كُتر الوجع نمنا وصحينا لقينا نفسنا أقويا وبنطير في السما وبنعوم في النيل ومختفين محدش يقدر يشوفنا.

- شكله إيه الراجل ده؟

- طويل ورفيع وأسمر ولابس جلاية بيضا وطاقية حمرا ونضارة شمس مخبية نص وشه.

- لو شُفت الراجل ده تعرفه؟

- أنا سوبر بطيخة، وعارف الناس كلها. هات شوكلاتة.

- هاجيبلك بس كمل، تعرف اسم الراجل ده؟

- لاء، أول مرة أشوفه.

- طب سمعته بيقول حاجة أو... .

- ده راجل أخرس بيتكلم بالإشارة.

- طب كان فيه حاجة مكتوبة على علبة العصير اللي وزَّعها





عليكم؟

- ما كانتش علبة، كانت إزازة كبيرة بيكب منها في كوبايات بلاستيك.

- طب والعربية اللي كان بيسوقها؟

قال ياسين:

- بطيخة حافظ رقمها و... .

قاطعته الطفل صائحًا بغرور:

- سوبر بطيخة.

قال ياسين ضاحكًا:

- أنا آسف يا سوبر بطيخة.

رفع رأسه بشموخ، ثم أشار لي حتى يكمل حديثه في أذني:

- أنا باحفظ أرقام كل العربيات من بصة واحدة بس.

- تصدق يا ض أنت فعلاً سوبر! إيه رقم العربية؟

- ما أنا مش باعرف أقرأ ولا أكتب.

ضربت خدي قائلًا:

- أطم؟! أطم على وشي؟!!

- أنا ممكن أرسمهالك، أنا بارسم حلو أوي. أرسمك كلب؟

- كلب إيه يا بابا؟! إنت مش هتعرف تمسك ورقة وقلم!





- ليه؟! هو أنا اتشليت؟!

- لاء، مُ... .

توقفت عن الكلام وتراجعت عن إخباره بأنه أصبح من  
الأموات، وزفرت ووضعت يدي على خصري مفكرًا، ثم أخرجت  
دفترتي الصغير وقلمي من جيبتي قائلاً:

- إنت حافظ شكل اللوحة كويس؟ يعني لو شُفتها تعرفها؟

- باقولك سوبر بطيخة.

فتحت الدفتر، وبدأت أكتب الحروف العربية بالترتيب قائلاً:

- ماشي يا سي سوبر بطيخة، لما نشوف.

أنهيت كتابة الحروف العربية، ومن بعدها الأرقام من صفر  
إلى تسعة، وأوضحت له:

- دي كل الأرقام والحروف. قولي شُفت إيه منها على لوحة  
العربية بالترتيب.

نظر إلى الدفتر، ثم التفت إليّ وقال ممتعاً:

- خطك نكش فراخ!

ضربت نفسي بالدفتر، ثم قلت لياسين:

- إنت ما لقيتش غير العيّل الجلياط ده أكلمه؟!

- ما ده الوحيد اللي خد باله من لوحة العربية!

قال بطيخة:





- اشتريلي حلبة.

- هاشتريلك كل عربيات الحلبة اللي في الكوكب، بس  
ارحم أمي وانجز!

دقق النظر في الدفتر، ثم اختار الأحرف: ق ب ر، ومن الأرقام  
٥، فقلت:

- وباقي الأرقام؟!

- هو الرقم ده مكتوب ثلاث مرات جنب بعض.

- متأكد من ترتيب الحروف والأرقام ده؟

نظر إليّ بثقة منقطعة النظير:

- عيب عليك! دا أنا سوبر بطيخة!

\* \* \*

أخبرني وليد - زميلي ضابط المرور - أن هذه السيارة تابعة  
لمكتب تأجير سيارات في التجمع الخامس، فذهبت أنا وقطرز  
إلى مقره بعد أن قصت عليه ما حدث مع أرواح الأطفال،  
فتأثر واغرورقت عيناه بالدموع لأنهم يظنون أنفسهم قد تحولوا  
إلى أبطال خارقين بسبب مشروب سحري، ولا يدركون أنهم  
صاروا موتى بسبب عصير مسمم، مما أشعرتني بأنني إنسان  
بلا إحساس أو عاطفة حيث لم أتأثر بالقدر نفسه، وربما ذلك  
لأنني أرى أرواحهم فلا أشعر بهم كموتى أو ضحايا، كما أنني  
رأيتهم يلهون ويلعبون وهم أسعد مما كانوا عليه أحياء.

وصلنا إلى المكتب الأنيق الذي يملكه شاب يرتدي حذاءً





لامعًا وبضع عطراً ثقيلاً، وقد رحّب بنا بابتسامة بلاستيكية  
قائلاً:

- أخدم حضراتكم بإيه؟

- عايزين نعرف مين اللي أجرّ من عندكم عربية سودا عالية  
رقمها ق ب ر ٥٥٥؟

- مين اللي أجرّها إمتى بالضبط؟

- يوم الأربعاء ١ فبراير، ما بين الساعة اتناشر لاتنين الظهر.  
- لحظة.

خرج من مكتبه النظيف ثم عاد بصورة بطاقة قائلاً:

- دي صورة بطاقة اللي أجرّ العربية.

كانت تحمل اسم «خيري مدحت أمجد شلهوب»، جراح مقيم  
في فيلاً في التجمع الخامس.

\*\*\*

قال قطز ونحن في طريقنا إلى فيلاً صاحب البطاقة:

- بانّت كده يا معلم، جراح ومش صعب عليه يجيب السم.

- إيه اللي يخلي جراح محترم يسمم أطفال الشوارع؟!!

- هنجيبه من قفاه ونخليه يعترف، ده المفروض يبقى عبرة  
لمن يعتبر!

ثم حك ذقنه قائلاً:





- بس برضو هاموت وأعرف أنا سمعت عن شجرة البيلادونا  
دي فين قبل كده؟

\* \* \*

وصلنا إلى الفيلاً المترفة، ولم نجد لها بواباً.

فتحنا البوابة الحديدية التي لم تكن موصدة، ومررنا من  
الحديقة المهمة ذات مقاعد الخوص المتربة، واقتربنا من  
الباب الخشبي الأنيق، وقبل أن أطرقه شعرت برجفة لا تتابني  
إلا عندما تلمسني روح.

استدرت لأجد روح رجل في مقتبل الستينيات، قصير  
وأصلع، وجسده هزيل، وعيناه ذابلتان، ويرتدي نظارة مستديرة،  
ويضع رداء نوم صوفي فوق منامته المخططة طويلاً.

نظر إليّ متعجباً، ودُهشت عندما أدركت أنه الجراح خيري  
شلهوب. أخرجت صورة البطاقة ثانية ونظرت إلى صورته فيها  
ثم إليه، إنه هو بلا شك!

راح قطز يطرق الباب، بينما قال لي الرجل بنبرة تائهة:

- ما سُفتش فاطمة؟

- دكتور خيري؟

التفت قطز حوله قائلاً:

- شكله مش جوه و... .

أشرت إليه أن يصمت، وقلت لروح الطبيب:



- السلام عليكم يا دكتور، أنا نوح الألفي.

ارتبك قطز، ونظر إلى حيث أوجه حديثي، ففهم ما يدور  
وسألني هامسًا بتحفظ:

- نوح، هو الدكتور... إنت بس اللي شايفه؟

هزرت رأسي إيجابًا، بينما أعاد الطبيب سؤاله:

- ما شفتش فاطمة؟

- فاطمة مين يا دكتور؟!!

- مراتي. قالتلي إنها هنا. شفتها؟

- هي ماتت؟

هز رأسه، ثم أضاف:

- بس أنا رُحتلها.

- رُحتلها إزاي؟ مين اللي قتلك؟

نظر حوله كالضال وهو يكرر مخرفًا:

- ما شفتش فاطمة؟

- هاساعدك تلاقيتها، بس قولني إنت مُت إزاي؟

عبس وقال غاضبًا:

- مش عايز! مش عايز منك حاجة! أنا هادور عليها بنفسي!

- استنى يا دكتور، أنا... .





أتى من يميني صوت ناعس يملأه الخمول، قال صاحبه:

- أيوه يا أساتذة، فيه حاجة؟

التفتنا لنجد بواب الفيلاً يفرك عينيه خارجاً من غرفته الصغيرة في الجهة اليسرى من الحديقة، بينما اختفت روح الطبيب.

قال قطر:

- دي فيلاً الدكتور خيري شلهوب؟

- الله يرحمه.

- هو مات إمتى؟

- آخريناير، قبّضني من هنا واتكل على الله!

سأله:

- هو مات إزاي؟

- أنا برضو لسه ما عرفتش الأساتذة يبقوا مين!

- الأساتذة يبقوا مباحث. اخلص. خيري مات إزاي؟

- لا مؤاخذة يا باشا، الدكتور انتحر، ما استحملش الحزن

على الست فاطمة.

- فاطمة دي مراته؟

- أيوه يا باشا. ما كانتش بتخلف، وهو كان بيدوب فيها

دوب، وفضلوا عايشين ملهمش غير بعض، لحد ما ماتت في





حادثة عربية، والدكتور ما استحملش، وبعديها بشهرين انتحر.

- انتحر إزاي؟

- حط لنفسه سم في العصير.

\* \* \*

الأمر برمته غير منطقي!

جمعنا ملفات التحقيق في وفاة خيرى، وعدنا إلى المكتب في محاولة لتحليل الأمر، فقال قظر:

- يعني خيرى جاب سم الأثرويين، وحطه في العصير، وأجرّ عربية، وطلع على كوبرى قصر النيل وزّع العصير المسموم على العيال، ورجع بيته وانتحر بنفس السم؟

- إنت مش مركز، وشكلك عايز تنام!

- ليه؟

- شهادة وفاة خيرى طلعت بتاريخ ٣٠ يناير، والعيال اتسمموا

١ فبراير!

- يعني إيه؟ مات وعفريته سمّ العيال؟!

- يعني مات، وحد سرق بطاقته أجرّ بيها العربية وسمّ العيال. أوصاف خيرى مش متطابقة مع اللي بطيخة قالي عليه، اللي سمّ العيال راجل طويل ورفيع وأسمر وأخرس.

- يبقى الراجل ده هو اللي قتل الأطفال وخلي خيرى ينتحر؟

- خيرى اتقتل ما انتحرش.





رفع حاجبيه مستفهماً:

- إزاي؟! تقرير المباحث يقول...

- يقول إن الباب كان مقفول بس المفتاح مش موجود، وإنهم لقوا كوياية العصير اللي فيها السم على التراييزة، لكن ولا لقوا إزاية السم ولا مصدر العصير نفسه.

- ترجملي.

- الراجل اللي وزّع العصير المسموم على العيال هو نفسه اللي دخل بيت خيري قبلها بيوم، وصله من نفس العصير المسموم، وسرق بطاقته، وخرج وقفل الباب وخذ المفتاح معاه عشان خيري ما يقاومش وما يلحقش يروح المستشفى لما تظهر عليه أعراض التسمم، نفس الاستراتيجية اللي اتبعها مع أطفال الشوارع، كان عارف إن مفيش مستشفى هتستقبلهم وتديهم الترياق.

- بس خيري كده كده ما قاومش لأن نفسه يموت ويشوف مراته، ولعدم وجود أعراض مقاومة أو محاولات استنجد افتكروا إنه انتحر.

- عشان بهايم ويكروتوا التحقيق!

- طب إيه الرابط بين خيري وأطفال الشوارع؟

- الرابط هو الشخص اللي قتل الاتنين بنفس الطريقة، لو روح خيري ما كانتش مخرفة كده بسبب موت مراته كنت فهمت منه!





- تفتكر البوّاب اللي قتله؟

- لو كان البوّاب كان حطه سم فران، وبعدين ده أبيضاني  
وتخين، ودي مش مواصفات القاتل خالص.

زفر قطز وهو يفرك عينيه ويقول معترضًا:

- هو إحنا ليه دايماً بنقع في قضايا حلزونية كده؟!!

نهض وفتح اللابتوب، فسأته:

- بتعمل إيه؟

- هاحاول أشوف اسم شجرة البيلادونا ده أنا شُفته فين قبل

كده، يمكن نطلع بمعلومة مفيدة.







- إن شاء الله.

- أنا طلعت لبنتي في الحلم زي ما إنت علمتني، فصحيت من النوم وكلمت كريم وسابته.

- طب الحمد لله، أهو حد فينا نجح في حاجة.

رن هاتفي، كانت أمي تتصل بي، فأخست الرنين، بينما قال ياسين:

- لو حابب تتكلم على انفراد أنا ممكن أمشي.

- لا، أنا مش فاضي أرد.

- ما إنت ما وراكش حاجة أهو. رد لتكون والدتك عايزاك في حاجة ضرورية.

- أنا عارف هي عايزاني في إيه.

- فيه مشاكل بينكم؟ احكي لي، آدينا بنتسلي.

- أفضل نتسلي بحاجة غير مشاكلي العائلية.

- ما أقصدش أتطفل عليك، بس إنت مش ضامن هتسمع صوت والدتك تاني ولا لا.

نظرت إليه مستفهمًا، فأكمل:

- كنت مغرم بالموسيقى، درست في إيطاليا وفرنسا، وبقيت أستاذ في الكونسرفتوار، واشتغلت في الأوبرا، ولفيت العالم، لحد ما قرّبت من الأربعين وكنت لسه ما اتجوزتش. عمري ما فكرت في الجواز وتكوين أسرة والكلام الفارغ ده، على قد



ما فكرت في إن قلبي يُدق. وفعلاً دق في فينيسيا لما اتعرفت على يسرا. كان عندها معرض رسم، هي فنانة تشكيلية، وحد من صحابي عزمي على معرضها صدفة، وأول ما شُفتها عرفت إني هتجوزها، وفعلاً عشت معاها أحلى خمسة وعشرين سنة جواز. ما أظنش إني ممكن أحب حد في الدنيا قدها، لكن شوف بقى مع الحب ده كله ديينا خناقة غريبة، كانت أول مرة نتخانق بالشكل ده، لدرجة إني سبتلها البيت ورُحت شقة بابا اللي في الزمالك. تاني يوم كان عندي بروفة في الأوبرا والدنيا كانت زحمة، وأنا قاعد في العربية لقيت التلفون بيرن برقمها، بس أنا كنت مقموص وما رضيتش أرد، زي ما إنت عملت كده، وقفلت الصوت، وقبل ما أرجع الموبايل مكانه كنت مُت! لو كنت أعرف إن دي آخر فرصة هاسمع فيها صوتها أكيد كنت رديت! الحياة غريبة! إنت مش عارف أنهي كلمة هتبقى الأخيرة! ولا أنهي فرصة هتبقى آخر فرصة ليك! العمر مش مضمون يا نوح!

بدأت السيارات تتحرك شيئاً فشيئاً، بينما أكمل ياسين بحزن:

- المضحك إني مش عارف سبب الخناقة، بس عارف إن يسرا شايلة ذنب إني مُت زعلان منها!

- كلمتها في الحلم وهونت عليها؟

- حصل. صحيت فضلت تعيط، وأول ما البنات دخلوا عليها مسحت دموعها ومثلت إنها كويسة. هي دايمًا كده، تحس إن رجلها واجعاها فتدوس عليها أكثر، تحس بألم في ظهرها





فتشده أكثر، ضرسها يوجعها فتمضغ عليه بزيادة. طول عمرها  
بتعانده الوجد عشان تفضل زهرنا وسندنا! كداب اللي يقولك  
إن الراجل هو عمود البيت! آديني مُت أهو والبيت لسه واقف  
على حيله! لو كانت يسرا هي اللي ماتت كان البيت اتهد!

- مش مضبوط. أنا لما والدي مات، أمي اتجوزت وخذت  
أختي وعاشوا في بيت جوزها، وأنا عشت في بيت جدتي،  
وبيت أبويا اتقفل، ومن ساعتها وفيه شرخ في العيلة مش  
عارفين نداويه!

- إنت كنت رافض جوازها؟

- أكيد.

- إشمعنى الراجل بيدفن مراته الصبح ويتجوز غيرها بالليل؟

- يعني لو يسرا اتجوزت إنت هتبقى مبسوط؟

- أنا بس اللي مُت. مش المفروض إن موتي يدفنها معايا

تحت التراب!

- والله إنت رومانسي. أنا مش كده خالص.

- الله يعينها خطيبتك.

- خطيبة إيه؟! هو أنا لاقى وقت أهرش في دماغى!

- لما قلبك يدق هتلاقي وقت لكل حاجة.

- ده لما بقى.

- ليه التشاؤم ده؟ إنت عمرك ما حببت؟





- حبيت مرة وأنا عندي تمن سنين، ومن ساعتها وأنا بادور على واحدة شبهها.

- صاحبتك في الكلاس ولا بنت الجيران؟

- روح في جبل الموتى.

قصت عليه حكايتي مع جبل الموتى، وركزت على الشابة البدوية ذات البشرة الراقية والعينين الواسعتين، التي مدت لي يدها بالليمونة، ودلّني على طريق التواصل مع الموتى.

- بتحب عفريته؟!

- روح، مش عفريته.

- طب وشفتها تاني؟

- من خمس سنين كده رُحت جبل الموتى، بس ما شفتش أي حاجة، لا البدو الخافين ولا الفارس المحارب ولا الفرعون ولا هي نفسها.

- ما شكيتش قبل كده إن كل دي هلاوس سمعية وبصرية، وإن ده مجرد عقلك الباطن؟

- عيّل عنده تمن سنين هيبقى كل ده في عقله الباطن ليه؟! أنا كان أقصى طموحي وقتها إني أحل ألغاز المحقق كونان.

ضحك قائلاً:

- يعني هي دي فتاة أحلامك؟

- مش فتاة أحلامي على قد ما حسيت إنها ملاكي الحارس.





يمكن عشان كان حب طفولي، وهي كانت فيها طيبة وابتسامة  
حنينة كده، ميكس غريب بين الرومانسية والأمومة. أنا عرفت  
بنات كتيرة بس كان دايمًا فيهم حاجة ناقصة.

- ما كلنا فينا حاجة ناقصة!

- بس اللي بيحب حد مش هيحس إن فيه حاجة ناقصة.  
أقولك؟ أنا مقتنع إن البنت اللي هاكمل معاها بقية حياتي هي  
اللي هاقدر أقولها إني باشوف الأرواح من غير ما أخاف، ومن  
غير ما تشوفني ملبوس زي أمي، ولا مجنون زي أختي!

هز ياسين رأسه، وقال بابتسامة دافئة:

- تفاءل يا نوح. يمكن القدر يفاجئك.

\*\*\*

لا أتذكر أنني ارتحت لإحدى الأرواح بهذا القدر من قبل.

بدأت روح ياسين تزور غرفتي، وتجلس معي في الشرفة  
ليلاً. ولأول مرة أحزن لكون إحدى الأرواح سترحل عن الأرض  
وتتركني.

عندما علمت جدتي بوجود روحه في منزلنا كادت تبكي  
تأثرًا، وحرصت على أن أوصل إليه رسائل إعجابها وتقديرها  
وإجلالها لموسيقاه، حتى إنها كانت تشغل معزوفاته طوال  
الوقت لتؤكد حبها الشديد له.

بنهاية الأسبوع، لن يتبقى سوى يوم واحد لروح ياسين في  
عالمنا، فغداً هو اليوم الأربعون لروحه على الأرض، وقد دنت





ساعة رحيلها.

في غرفتي تهيأتُ لأخذ قيلولة قصيرة قبل أن تعود جدتي التي حرصت على أخذ كليتنا في نزهة تصحبها فيها صديقتها.

وجاءني صوت روح ياسين:

- هاروح فين؟

- ده السؤال الوحيد اللي مش عارفه إجابة.

- طب بعد ما أمشي مش هاقدر أشوف يسرا والبنات تاني؟

- بيقولوا إن الميت بيشوف الناس اللي بيحبهم في أي وقت،

بس محدش أكدلي المعلومة دي. لكن بابا كان بيزورني كثير

في أحلامي بعد ما مات. صحيح كان بيقول كلام مبهم وشكله

ما كانش واضح لكن كنت باشوفه في الحلم.

- يبقى لازم أقولهم إني ماشي. أنا باحكيلهم عن كل حاجة،

حتى عنك.

ضحكت قائلاً:

- تصدق إن دي أول مرة من بعد وفاة بابا وجددي أحس إن فيه

روح هتقطع بيّ؟!

- وإنت كمان هتوحشني. بس أنا قلقان على يسرا والبنات من

بعدي.

- مراتك وبنتك الكبيرة ما يتخافش عليهم، الصغيرة متهورة

شوية، بس أختها هتاخذ بالها منها.





رن هاتفي، فقلت لروح ياسين:

- بعد إذنك.

وأجبت سريعاً:

- فيه جديد يا قطز؟

- «مكبث» يا نوح! إحنا ماشيين في الطريق الغلط!

- أنا مش فاهم حاجة يا قطز.

- مسرحية «مكبث» بتاعة شيكسبير اللي خدناها في ثانوي

...

- مالها؟!!

- المسرحية كانت فيها هدنة بين اسكتلندا والقوات

الإنجليزية التابعة للملك هارولد هارفوت، تمام؟

- انجز يا قطز عشان أنا جعان وعائز أنام ومش شايف قدامي!

- طيب طيب، مكبث قرر يخلص من القوات الإنجليزية،

فعمل نبيذ سام، وشرب منه الجنود، وكان مفعوله قوي لدرجة

إنهم ما كانوا قادرين يقفوا على أرجلهم وماتوا على طول.

- فين الاكتشاف في اللي إنت بتقوله؟

- الاكتشاف إنهم ما ماتوش بسبب إن مكبث حطلمهم سم في

النبيذ، النبيذ نفسه هو السم!

- ورحمة أبويا ما فاهم حاجة!





- فاكر لما فضلت أقولك إني متأكد إني سمعت كلمة بيلادونا قبل كده؟ عشان كانت موجودة في مسرحية مكبث. دي شجرة بتطرح فاكهة بيسموها «توت الشيطان» عشان سامة، مكبث بقى خد التوت وعمل منه نبيذ. أطفال الشوارع والدكتور خيرى كان محطوظلهم السم في عصير التوت. العصير ما كانش فيه سم، العصير نفسه هو السم! التوت هو المادة السامة! يعني بدل ما كنا بندور على مين اشترى سم من الصيدلية هـ... .

- هندور على مين اشترى التوت من الشجرة!

- أو مين زرع الشجرة.

- هي ممكن تزرع في البيوت؟

- هي دي المعلومات اللي نقصاني. محتاجك تعدي على طنط فتون تسألها عن الشجرة دي، وتعرف منها إيه شروط زراعتها، ولو ينفع تزرع في مصر والكلام ده.

وقفت متحمسًا:

- ماشي، أنا نازل دلوقت.

أنهيتُ المكالمة، والتفت إلى روح ياسين قائلاً:

- لازم أنزل عشان جد جديد في القضية.

- وأنا هاروح أودع البنات.

\*\*\*

استقبلتني السيدة فتون في منزلها بخمس ساندويتشات من





المربي التي أعجز عن مقاومتها. أكلت الساندويتشات بنهم،  
وإني لقادر على التهام أضعافها، فقد كانت المربي أشهى من  
كل مرة إلى درجة أنني لعقت أصابعي بعد أن فرغت من الأكل.  
شاهدتني السيدة فتون وأنا آكل بشهية مفتوحة، وابتسمت  
بحنان عندما انتهيت، وقالت:

- أجيبك تاني يا حبيبي؟

- دا أنا هاخذ البرطمانات كلها وأنا مروّح.

- أنا مجهزاهمك، هتاكل لحد ما تشبع.

ضحكت ثم شربت الماء، بينما قالت:

- قلتلي بقى عايز تسأل عن شجرة إيه؟

- البيلا دونا.

- اسمها بالعربي «ست الحسن» أو «توت الشيطان» عشان  
بتطرح توت طعمه مسكّر بس سام جدًّا، وشكله يجذب  
الأطفال عشان بيفتكروه بلاك بييري، لكن لو أكلوا منه خمس  
ولاً ست حبات يموتوا في خلال ساعتين تلاتة، وأكثر جزء  
سام في «ست الحسن» هو جذورها. وفيه مشاهير كثير في  
التاريخ ماتوا بسمها، زي الإمبراطور أغسطس، والإمبراطور  
كلوديوس. ولحد النهارده سم «ست الحسن» بيستخدم في  
جرائم القتل. اللي بالمناسبة سموها «ست الحسن» اللي هي  
ترجمة لكلمة بيلا دونا عشان الستات كانوا بيستخدموا لون  
التوت بتاعها في التجميل، بيعصروه بطريقة معينة عشان



يتخلصوا من سمه، ويعملوا منه روج أو أحمر خدود.

- والشجرة دي بتتزرع في مصر؟

- موطنها الأصلي أوروبا، بس برضو بيزرعوها في شمال أفريقيا وغرب آسيا، وتحتاج لشمس قوية لمدة خمس أو ست ساعات في اليوم وتهوية، ومش بتشرب ميه كثير.

على ذكر الماء، شعرت بجفاف شديد ورغبة مميتة في شرب نهر النيل كله، فلم أترك دورق المياه الزجاجي من يدي، مما لفت انتباه السيدة فتون فسألتنى:

- أجيبك ميه تاني؟

- يا ريت، عشان السكر بيعطشني جدًا.

- معلىش، أنا كترت السكر المرة دي في المربى عشان كنت حاساها مرة المرة اللي فاتت.

أحضرت لي دورقًا آخر من المياه، بينما دوّنت كل المعلومات التي أخبرتنى بها، ثم سألتها:

- سهل تلاقي بذور الشجرة دي في مصر؟

- ممكن تجيبها من أي مشتل وتزرعها في الجنينة أو فوق السطوح.

بدأت أشعر بحرقه عيني اللتين اشتاقتا إلى النعاس، حتى إن إضاءة المنزل ألمتني، فأغلقت جفوني وفركتها، وسألتنى السيدة فتون بقلق:





- مالك يا حبيبي؟!!

- عيني وجعاني من السهر.

- تحب تطلع تنام ونكمل كلامنا بعدين؟

- لا لا. كملي يا طنط.

- عندي فكرة، بدل ما أنا باصدّك كده تعالّ معايا.

- على فين؟

- عندي حاجة هتفيدك أوي.





وجدت نفسي في سيارة السيدة فتون البيضاء، متجهين إلى المقطم، وقد زادت حرقة عيني وجفاف حلقي وصداع رأسي ورغبتي في النعاس. ليتني لم أذهب معها وأخلدت إلى النوم، فأنا أكره حالتي عندما يتمكن مني الإرهاق ويبدأ رأسي يؤلمني بهذه الصورة الضاربة.

وصلنا إلى منطقة لم أرها في المقطم من قبل تشبه مدينة الأشباح، ليس لأنها تعج بالأشباح، بل لأنها خاوية، ومعظم المباني فيها لم ينته إنشاؤها بعد، عدا فيلّتين متباعدتين. اقتربنا من إحدهما، لم يكن عليها بواب. أخرجت السيدة فتون مفتاحها وفتحت بوابة الفيلا الصغيرة ذات الحديقة النظرة والعشب الأخضر، فقلت محاولاً أن أبعد الإرهاق عن صوتي:

- بيت مين ده؟

- دي الفيلا اللي عمر كان هيتجوز فيها.

عمر ابن السيدة فتون كان أحد تلامذة أمي في القصر العيني، لكنه تُوفي قبل زفافه بأشهر قليلة.

وقفنا أمام نبتة شجرية ارتفاعها متر ونصف، ذات أوراق بيضوية كبيرة، وأزهار بنفسجية تشبه الجرس، وتتدلى من أغصانها الرفيعة ثمار في حجم الطماطم الكرزية لكنها سوداء لامعة.

بدأت أرتجف. أفهم أنني مرهق ومتعب من قلة النوم



والجوع، لكن ليس إلى الدرجة التي تجعل نبضات قلبي تزداد  
ورؤيتي تهتز وعريقي يتصبب كمن أصابته حمى!

وضعت السيدة فتون يدها على كتفي برفق قائلة:

- أنت كويس يا نوح؟

حاولت أن أتماسك قائلاً:

- أيوه أيوه.

أشرت إلى الشجرة:

- هي دي بقى ست الحسن؟

قربت يدي نحوها، لكنها أبعدتها قائلة:

- إوعى تلمسها من غير جوانتي، سمها هيئذي جلدك لو

لمستها بس.

بدأت ألهث مع ازدياد خفقان قلبي، وقلت متشبثاً بهدوئي

الذي أخذ يتلاشى تدريجياً:

- طب ما دام هي سامة أوي كده، إنت زارعاها هنا ليه؟!

ضحكت وقالت بنبرة لم أعتدها منها:

- نوح يا حبيبي، أنا مش عارفة دي ثقة فيّ ولا سذاجة منك!

هو إنت نسيت ابني مات إزاي؟

كاد قلبي أن ينفذ من صدري، وجف حلقي كصحراء جرداء،

وتشبعت ملابسي بالعرق، وبدأت أحك جلدي كله وأسعل بقوة

ورأسي يترنح وتوازني يختل كمن شرب برميلاً من الخمر.





تجلت مظاهر تعبى الذي لم تعد قلة النوم والإرهاق العاديين  
مبرراً مقنعاً له، فأنا لم أعد قادراً على الوقوف على ساقي.

ساندتني السيدة فتون برفق حتى أدخلتني إلى الفيلاً.

كانت الفيلاً مفروشة بالكامل، كأن هناك من يقطن بها. قالت  
لي جدتي من قبل إنه بعد وفاة عمر، اعتادت السيدة فتون  
الذهاب إلى الفيلاً لتنظيفها والمكوث بين الأثاث الذي اشتريته  
مع وحيدها.

أجلستني السيدة فتون على الأريكة المريحة، بينما جلست  
هي على الكرسي المقابل واطعةً ساقةً فوق الأخرى، وقالت  
بصوتها الحنون لكن بنبرة مريية:

- زي النهارده من سنة عمر كان راجع من العيادة الساعة  
ثلاثة الفجر، طلع عليه اتنين من أطفال الشوارع وكانوا عايزين  
يسرقوه، ولما قاوم طعنوه بمطوة ومات!

اللعنة!

يستحيل أن يكون شكى في محله!

- أنا اتطلقت وعمر عنده اتناشر سنة، ما طلعتش من الدنيا  
غير بيه، فلما جالى خبر إنه فى المستشفى كنت هاتجنن.  
اتصلت بجراح صديقى من أيام الطفولة، هو الدكتور الوحيد  
اللى باثق فيه، واستنجدت بيه عشان يلحق عمر، لكنه فشل!  
خذلني وما أنقذش ابني من الموت!

حاربت الشلل الذي بدأ يصيب أطرافى، وقلت لها:



- الدكتور خيرى؟

هزت رأسها باسمه:

- طول عمري باقول عليك ذكي، عشان كده لما قررت أجيب حق ابني لجأتلك إنت بس عشان تلاقي القاتل، بس زيك زي خيرى، خذلتني وسبت اللي قتل ابني حراً!

وددت أن أوضح لها أنني أخذت أوصاف القاتل من روح ابنها بعد مقتله، وبحثت عن قاتله في كل مكان ولكني لم أجده، فأنا لا أعرف له اسمًا ولا دلالة، وأطفال الشوارع يحمون بعضهم بعضًا. أردت أن أصبح بها، وأخبرها أنني فعلت ما لا يقوى أحد على فعله، وخاطرت بكل شيء لأقتصر لها ولجاري وصديقي عمر، لكن الوهن هيمن عليّ ولم أتمكن من النطق!

كنت ملازمًا آنذاك، وصلاح هو النقيب المسؤول عن القضية.

صلاح!

ليتنى ركزت في جملته التي قالها في المكتب راضيًا عن تسمم أطفال الشوارع:

«إيه يا سي نوح؟ نسيت جارك اللي عيّل من دول ثبتته وغزه؟».

لِمَ استهترت بكلامه ونسيت أن ذلك الجار هو عمر ابن فتون؟!!

فتون! التي تملك محلًا للورد ومشتلاً، الخبيرة بالنباتات، لديها دافع الانتقام، ومن السهل حصولها على نبتة «ست



الحسن»!

نهضت من فوق مقعدها مع ازدياد رعشتي.

لم ألاحظ من قبل أنه عند النظر إلى فتون من الخلف فإنها تبدو كالرجل، بقامتها الطويلة وشعرها القصير وجسدها المسطح! وأنها لو ارتدت جلبابًا أبيض فضفاضًا، ووضعت قبعة على رأسها، وأخفت عينيها الأثوبتين بنظارة شمس كبيرة، وامتنعت عن الكلام حتى لا يُسمع صوتها الناعم، فسيظنها الناس رجلًا!

فتون هي من سممت أطفال الشوارع والجراح خيري شلهوب!  
ونوح الألفي!

عقدت ذراعها قائلة بسخط ممزوج بالحسرة:

- ابني كان بيعالج أطفال الشوارع بالمجان في عيادته. عارف كام مرة المستشفيات رفضت تدخّل واحد من الجرايين دول وهو أصر يدخلهم على مسؤوليته الشخصية ويدفع لهم التكاليف؟! يقوم الكلاب دول يقتلوه في الفجر وبسيبوه ينزف في الشارع! حاولت النهوض، لكنني لم أشعر بساقي وقد تمكن مني الإعياء الشديد، لكن فتون لم تتوقف عن الكلام:

- أنا اعتبرت خيري زي أخويا، واستنجدت بيه، لكنه اتأخر، وفي النهاية خرج من العمليات يقولي «أنا عملت اللي عليّ»!

ضحكت متهكمة، ثم بدأت تصيح نحوي:

- وإنت كنت زي ابني، فضلت أقول عليك ذكي وشجاع، وبوم





ما اعتمدت عليك طلعت زيك زي كل اللي في المجتمع القدر ده! أغبيا ومتقاعسين وناكرين للجميل!

رن هاتفي، فحاولت بكل ما أوتيت من قوة أن أمد يدي لآخذه، لكنها أسرع وأخرجته من جيبتي، وعندما شددت معصمها دفعت يدي بقوة، فسقطت أرضاً عن الأريكة.  
أجابت على الهاتف بنبرتها الهادئة:

- أيوه يا إحسان، نوح نسي موبايله عندي في المحل، ابقي قوليله يبجي ياخده لما يخلص شغل. ماشي يا حبيبتتي، سلام.  
حاولت أن أصرخ، لكنني لم أجد صوتي. حالة من الخدر المختلط بالحمى والإعياء سرت في بدني كله، وصارت لها الهيمنة واليد العليا على كل حواسي واستجاباتي، وما زال قلبي يركل صدري هلعاً!

الأمر بيّن:

أحد أطفال الشوارع طعن عمر، ثم فشل خيرتي في إنقاذ حياته فمات عمر.

لجأت فتون إليّ فخذلتها كما خذلها صديقها الجراح.  
ومحملةً بالكراهية والإحساس بالظلم، ظلت عامًا كاملاً تتظاهر بكونها الأم الراضية بقضاء الله. لم تصرخ، ولم تبك، ولم تُظهر أي نوع من السخط أو الاعتراض على أمر الله، بل ظلت توزع الورد والعصائر والمحبة على الجميع، فجعلتنا نظن أنها تخطت أمر وفاة ابنها، بينما في الواقع كانت تود



أن تبعد عن نفسها الشبهات، فظلت متماسكة تحضر خطتها سرًا، فللظلم والعدالة البطيئة التأثير ذاته: صناعة إنسان يكفر بالعدل ويؤمن بالثأر الفردي.

بدأت بخيري. دخلت منزله باسمه الشجر بحجة مواساته وتصبيره على فراق زوجته، وأهدته زجاجة العصير. سكبت له كوبًا، وظلت معه ساعتين أو ثلاثًا، حتى ظهرت عليه الأعراض، فنقلته إلى فراشه ليسترخ، ثم أخذت بطاقته الشخصية والمفتاح حتى لا يحاول التوجه إلى المستشفى.

استأجرت سيارة ببطاقة خيري الميت، ثم نفّذت الجزء الثاني من خطتها، ووزعت عصير «توت الشيطان» على أطفال الشوارع بغرض الانتقام العشوائي ممن كانوا سببًا في موت ابنها.

والآن أتى الجزء الثالث من خطتها، وهو قتلي أنا!

اختارت شجرة «ست الحسن» لسهولة زراعتها وتوزيع سمها، فتوتها حلو المذاق ولا رائحة له، ويمكن للضحية أن تتناوله كتوت طازج أو عصير، أو في حالتي أنا: مربى التوت. حاولت أن أزحف على الأرضية الباردة نحو الباب، لكنها بعدما أغلقت هاتفني ووضعتني في جيبها وقفت تضحك ساخرة من محاولتي البائسة للفرار من الموت، قائلة:

- ما تحاولش، كلها ساعة وتحصلهم، محدش هيلحقك زي ما ملحقوش ابني!

استمر زحفي حتى منتصف الصلاة، وقد بدأت أشعر



بتشجنجات غريبة.

سحبت فتون حقيبتها، وأخرجت المفتاح قائلة:

- ١٠ حبات من توت «ست الحسن» قادرين على قتل إنسان بالغ في ساعتين. تفتكر ساندويتشات المربي اللي أكلتها فيها كام حباية؟

\* \* \*

كنت أعلم أنني سأموت قبل أن يشيب شعري وتجد التجاعيد طريقها إلى وجهي، لكنني لم أتصور يوماً أن السيدة فتون التي علمتني في طفولتي أسماء الورد ومعانيها هي من ستقتلني! مددت يدي نحو الباب، لكنها ركلتني جانباً، وخرجت من الفيلاً وأغلقت البوابة خلفها.

بقيت مستلقياً على ظهري أرتعش والعرق يتصبب مني، وصارت الرؤية ضبابية، لكنني سمعت صوتاً:

- نوح! مالك؟

لم أره بوضوح، لكنني كنت متأكداً من أنها روح ياسين التي صاحت فزعاً:

- إيه اللي حصلك؟! مين عمل فيك كده؟!

خرج صوتي واهناً وبالكاد يُسمع:

- سم.. الإسعاف.. باموت.

وقف ياسين حائراً، وأخذ يدور في المكان عاجزاً عن التقاط





أي شيء، فقال مرعوبًا:

- مش عارف، مش عارف أمسك حاجة! أعمل إيه؟

هاجمتني نوبة عنيفة من التشنجات، وصرت أرى أضواءً  
عجيبة، وأسمع أصواتًا متداخلة، لكن صياح ياسين الهلع كان  
واضحًا:

- أعمل إيه يا نوح؟! ما تموتش!

اختفت الأضواء، وخفتت الأصوات، وساد السكون المظلم!

يبدو أنها النهاية!



هل يحلم الموتى؟

لا أظن ذلك، فالأرواح لا تنام، فكيف لها أن تحلم؟

إذن كيف أحلم الآن بالبدوية صاحبة الليمونة الصفراء واقفة في منتصف كهف جبل الموتى، وهي بمفردها، بلا أي أرواح أخرى؟

تنظر البدوية نحوي بعينيها الواسعتين، وشعرها الأسود منسدل على كتفيها، وتبتسم إليّ بشفتيها المكتنزتين، وتشير إليّ أن أقرب! أذهب نحوها محلّقًا كالطيف الهائم، وقبل أن ألمس يدها وأخذ الليمونة أشعر بيد على كتفي، فيتغير المشهد، ويختفي الكهف والبدوية والليمونة، وأجد نفسي في غرفة بيضاء كئيبة ذات مصابيح نيون خافتة وسرير حديدي رفيع، ولا يقف فيها غيري أنا وباسين الذي بدا مرتاح البال وباسم الشجر قائلًا:

- رعبتني يا أخي!

لم أجه، كنت مندهشًا ومضطربًا.

وددت أن أسأله أين نحن، وماذا حل بي، لكنني شعرت أن لساني مربوط، بينما تكلم ياسين بطلاقة:

- ما تخافش، كله هيبقى تمام.

سمعنا صوت دقة ساعة قويًا خرق أذني، فنظرت حولي ولم أجد أي ساعة، لكن ياسين قال متعجلًا:



- الأربعاء يوم خلصوا، دي ساعتني. أنا بعثك دليلة. خلي  
بالك منها يا نوح!

بدأ جسده يتلاشى، وهالته تتبدد، ثم سطع ضوء قوي كاد  
يعميني، فانتفضت مستيقظاً.

\* \* \*

الرؤية ضبابية، لكنني تبينت ضوءاً مرتعشاً في السقف.  
وعلى الرغم من ألم رأسي الشديد والخدر الذي انتشر في  
أوصالي، فإنني سمعت أصوات كل من حولي بوضوح.

- نوح! نوح صحي يا طنط!

كان هذا صوت قطز، يليه بكاء شديد، ثم يدان متعرقتان  
تمسكان بوجهي، ثم تنهال عليّ القبلات:

- حبيبي يا ابني! حمد الله على سلامتك!

كانت هذه أمي بصوتها العريض وبديها السمينتين وشخشخة  
سلاسلها الذهبية ذات الخرز الأزرق والآيات القرآنية.

ومن بعدها جاء صوت جدتي الرفيع المحمل بدموع مكبوتة،  
تقول بنبرة آمرة:

- ما تُطبقيش على نفسك كده! سيبه يرتاح!

توالت الأصوات. كانوا جميعاً حولي: نادية، وطارق، وأمي،  
وجدتي، وقطرز، وقد احتجت إلى بضع دقائق لتتضح الرؤية.

كانت جدتي تمسك بالمصحف، ووالدتي تجلس بجواري



بملابسها المحتشمة وحجابها الطويل وتحيطني بذراعيها،  
ونادية عند طرف السرير، وطارق وقطر يقفان على يميني  
بطمأنينة.

بصوت مرتعش لكن مسموع سألت قطز:

- مسكتوها؟

صاحت أمي:

- ده أنا أكلت فتون دي بسناني! لولا قطز حاشني عنها كنت  
قطعتها في القسم!

سحبت يدي وظلت تقبلها بهستيريا:

- سلامتك يا حبيبي! إن شا الله أنا!

- بعد الشر عليك يا ماما!

قال قطز:

- حد يصدّق إن طنط فتون الملاك دي تعمل كده؟!

صاحت أمي:

- ملاك؟! إلهي وإنت جاهي تسخطها قردة عشان تبقى عبرة  
للخلق!

سألت قطز:

- قبضتوا عليها إزاي؟

- لما لقيت الشجرة المسمومة في فيلاً عمر، وبعد شوية



ربط ومراجعة للتفاصيل فهمت إن هي اللي وراها، وأول ما واجهناها بتُّهمها فضلت تزعق وتقول «لازم أطهر المجتمع من المتقاعسين اللي زيكم». مخها لسع، وغالبًا هتتحول على الخانكة.

صاحت أمي:

- رنا ياخذها ويولِّع فيها ويشفي غليلي منها و... .

قاطعتها جدتي بنبرتها المترفعة:

- وطي صوتك الهمجي ده!

التفتت إلى الآخرين قائلة بعجرفة:

- يلاً كلكم بره، سيبوا حفيدي يرتاح.

خرجوا جميعاً إلا قطز، فاقتربت جدتي وقبّلت جبيني قائلة:

- سلامتك يا روح عيني!

- الله يسلمك يا تيتة.

التفتت إلى قطز قائلة:

- وإنت يا طويل التيلة اتفضل قدامي.

همَّ بالخروج لكنني استوقفته قائلاً:

- استنى عايزك.

اعترضت جدتي:

- عايزه في إيه؟! مش وقته كلام في الشغل، ارتاح.





- كلمتين بس يا تيتة وخلص.

زفرت ناقمة، ثم غادرت صافعة الباب خلفها.

مال قطز عليّ قائلًا:

- فاتك نص عمرك، جدتك ومامتك اتخانقوا وكانوا هيموتوا

بعض!

- وياه الجديد؟! ما همّا ما بيعرفوش يقعدوا خمس دقائق مع

بعض، سيبك. أنا جيت هنا إزاي؟

- بالإسعاف.

- ما أنا عارف يا غبي! قصدي مين اللي كلم الإسعاف.

- آآآآآه، نسيت أقولك.

قال غامرًا:

- المزة يا عم اتصلت بالإسعاف، وقالتلهم العنوان، وفضلت

موجودة طول الوقت، وجدتك عمالة تزن وتقولي «مين دي؟ هو

نوح مرتبط من ورايا؟»، حلفتلها ميت يمين إني ما أعرفهاش

ما صدقتنيش. بتصاحب من ورايا يا واطي؟

- مزة مين يا قطز؟! إنت هتهزر؟

- أقسم بالله واحدة زي القمر، بس ما رضيتش تقولي هي

عرفت إنك مسموم في الفيلا إزاي و... .

دخلت جدتي بلا استئذان، وبدت منزعة، فجلست بجواري

زافرة بضيق، فسألتها:





- فيه إيه يا تيتة؟

- فيه إنك ندل وأنا ما عرفتش أربي! مين البنت اللي بره دي؟

قال قطز:

- دي البنت اللي باقولك عليها، قالت إنها هتيجي تتظمن عليك النهارده تكون فُقت.

قالت جدتي منفعة:

- أيوه بقى مين دي؟ ها؟ إنت بتعرف بنات يا نوح؟!

- أومال باعرف سحالي يا تيتة؟ ما تصلي على النبي.

- عليه أفضل الصلاة والسلام. بس ما أقعدش أنا أربي

وتيجي واحدة تاخذك على الجاهز!

قال قطز ببرود:

- هدي أعصابك يا تيتة.

صاحت به:

- أنا باتعصب لما الواد ده يقولي «يا تيتة». أنا مش جدتك يا

ناطحة السحاب إنت!

- الله يسامحك يا تيتة.

- «Quelle stupidité!».

- أنا متأكد إنك بتشتميني، بس معلىش، إنت برضو جدتي.





- أوووف!

زفرت وقالت لي:

- إنت هتقولي مين البنت اللي لازقالنا من إمبراح دي ولا لا؟

- أشوفها، أشوفها بس عشان أعرف هي مين وأرد على معاليكي.

- مش هادخلها غير لما تقولي هي مين.

قال قطز:

- ملكيش حق تسيبها واقفة بره يا تيته.

اتجه قطز ناحية الباب وفتحه بحماس ونادى الفتاة لتدخل.

\*\*\*

لم أعد أفهم، أهذا حلم أم أني ما زلت تحت تأثير هلاوس السم؟

من باب غرفتي في المستشفى، دخلت البدوية التي كانت في مقابر جبل الموتى!

عيناها كحيلتان واسعتان، وشفاتها حمراوان مكتنزتان، وأنفها دقيق، وبشرتها رائقة، ووجهها مستدير.

إنها هي مع فارق بسيط، وهو أن شعرها لم يكن طويلاً منسدلاً حتى خصرها كما كانت في جبل الموتى، بل كان قصيراً كشعر الفتيان، وملابسها تواكب العصر الحالي: جينز أسود، وحذاء رياضي، وقميص حريري، وسترة جلدية سوداء،





وعلى معصمها وشم لمفتاح «صول» الموسيقي، وتضع قرطاً ذهبياً فيه حجر فيروز يتماشى مع خاتمها وسلسلتها الرقيقة.

دخلت الغرفة حاملة باقة من التوليب الأبيض، واقتربت مني على استحياء، بينما قال لها قطز:

- اتفضلي، اتفضلي.

وكزنتي جدتي قائلة:

- آديك شفتها، مين دي بقى؟

لم أتوقف عن الحملقة فيها، لقد كانت البدوية نفسها، لكن بحلة جديدة. ولولا أن قطز وجدتي حولي وبربانها مثلما أراها لظننتها روحاً، أو لظننت نفسي أهذي.

وقفت ذات الشعر القصير التي ترتدي الأسود من رأسها حتى قدميها، عند طرف السرير، فانعكست أشعة الشمس على وجهها البريء وملامحها الدقيقة، وقالت بصوتها الذي سكن أذني منذ كنت في الثامنة من عمري:

- حمد الله على سلامتكم.

مدت يدها بباقة الزهور، لكن من فرط دهشتي لم أخذها منها، فرفع قطز عنا الحرج وأخذ الباقة قائلاً:

- ما كانش فيه داعي تكلفي نفسك.

ظلت جدتي ترمقها بتربص غير مبرر، بينما سحب قطز كرسيًا وضعه بجوار سريري لتجلس عليه، ثم قال لجدتي التي تشبثت بذراعي كأنها تعلن أنني ملكيتها الخاصة:



- يلاً يا تيتة عشان... .

- عشان إيه؟! أنا قاعدة جنب حفيدي!

- ما إنتِ بقالك عشرين سنة قاعدة جانبه! اديله فرصة

يتنفس!

بصعوبة شديدة سحبها من يدها ثم خرجا، ولم يعد في الغرفة

غيري أنا والضييفة غير المتوقعة.

ظلت تنظر حولها وتتأمل الأرضية في خجل وهي تداعب

خواتمها حتى قالت بتردد:

- إنتِ بقى نوح؟

سألتها بلا تفكير:

- إنتِ بتاعة جبل الموتى؟

قطبت حاجبيها بابتسامة فضولية:

- جبل الموتى؟!!

- إنتِ اللي اديتيني اللمونة؟

- لمونة إيه؟! أنا مش فاهمة حاجة!

- طب إنتِ اللي كلمتِ الإسعاف؟

- أيوه، أصل... .

هزت رأسها بتوتر:



- لو حكيتك مش هتصدقني .

- أنا هاصدق أي حاجة هتقولها .

بدأت تسرد بتردد وبكلمات متقطعة:

- بابي مات .. من حوالي أربعين يوم .. لكن من أسبوع

كده .. بدأت أحلم بيه .. وكان .. كان بيحكيلي .

اضطربت ونظرت إلى الأرض قائلة:

- كان بيحكيلي عنك .

- إنت بنت ياسين الجارحي؟

اندهشت واضطربت وتطلّب الأمر بضع ثوانٍ حتى وجدت ما

تقوله:

- إنت .. إنت تعرف بابي ، صح؟ أصل .. هو قالي إنك بتشوفه

وهو ميت .. حكالي إنك بتشوف الأرواح .. وإنك معاه على

طول .. وعلمته إزاي يطلعنا في الأحلام .. وإمبارح وأنا نايمة

حلمت بيه مرتين .. الأولى قالي فيها إن النهارده آخر يوم

له على الأرض .. وإنك قتلته إن روحه هتنتقل لعالم تاني ..

وبعدها مشي وقالي هيروح يودعك .. بس بعدها ظهرلي تاني

وكان خايف .. وقالي إنك اتسمت في فيلاً في المقطم .. وإني

لازم أكلم الإسعاف فوراً عشان هو مش قادر ينقذك .. قالي

اصحي حالاً وانقذي نوح .. صحيت بلغت الإسعاف من غير ما

أفكر .. وما صدقتش إنهم فعلاً لقوك وإن كل ده حقيقي مش

أحلام .. وجيتك المستشفى عشان أتأكد بنفسي إني مش



مجنونة.. لقيتك زي ما بابي كان بيوصفك بالظبط و... .

لم أنزل عيني عنها وهي تتكلم مرتبكة، وقد تعرقت يداها  
واحمرت وجنتاها.

أيمكن للكون أن يكون بهذه الدقة والعشوائية في آنٍ واحد؟!  
أرى في عمر الثامنة روح بدوية حسناء تعلمني كيفية  
التواصل مع عالم الأرواح، وبعدها أقابل روح مايسترو قلقًا  
على ابنته، فأعلمه كيفية الظهور في أحلام الأحياء، فيظل  
يقص لابنته في منامها عني وعن تواصلني مع عالم الأرواح،  
وعندما أتعرض للموت يظهر في حلم ابنته، ويجعلها تتصل  
بالإسعاف لتتقذ حياتي، ثم تزورني في المستشفى وأكتشف  
أنها الفتاة نفسها التي أغرمتُ بها طفلًا؟!

قالت متوترة:

- إنت فاكرني مجنونة، صح؟ أكيد كلامي مش منطقي  
بالنسبة لك.. بس مش كل حاجة في الدنيا منطقية.. وأنا..  
أنا بس كنت عايزة أتأكد إني مش باهلوس.. عشان أنا متأكدة  
إن اللي كنت باشوفه ده كان بابي.. وكنا بنتكلم بجد مش  
مجرد أحلام وتخاريف و... .

- إنت اسمك إيه؟

اضطربت من سؤالي الذي لا صلة له بما ترويه، لكنها  
أجابتني خجلة:

- دليلة.





عندما قال ياسين في ظهوره الأخير في حلمي قبل أن أستيقظ  
في المستشفى:

«أنا بعثك دليلة. خلي بالك منها يا نوح».

كان يعني دليلة ابنته البكرية التي منعها ظهوره لها في  
الأحلام من الزواج من خطيبها الخائن!

\* \* \*

لو لم أحل قضية طه عبد اللطيف، ما كان اللواء رشوان  
ليكلفني بقضية تسمم الأطفال، وما كنت لأقابل روح ياسين!  
ولو لم أعلم ياسين الظهور في الأحلام، ما كان ليمنع ابنته  
من الزواج!

ولو لم تسممني فتون، ما كنت لأقابل دليلة، وما كنت الآن  
على قيد الحياة!

تلك التفاصيل المتسلسلة التي نغفل عنها، أو نفلها بلا  
تركيز، هي جزء من خطة كونية كبيرة دبَّرها الخالق دون أن  
ندري!

كل ذرة في هذا الكون لها تأثير لا ندركه!

منقذتي تُدعى «دليلة».

ولسنوات طويلة كانت بالفعل دليلتني...



## شكر خاص

إلى كل من تكرم بوقته وعلمه لإثراء هذا العمل:

عبير فرحات

مايا المهدي

كاري ميريل

رايات وودوارد

ويتني لاستر

شارون ميليك

رضا محمد

عمر بولندي

رحاب سعدي





## عن الكاتبة

وُلدت ميرنا المهدي في حي المعادي بالقاهرة، وتخرجت في مدرسة «ليسيه الحربية» في المعادي، ثم في كلية «الألسن» جامعة عين شمس. تخصصت في أدب وترجمة اللغتين الفرنسية والإسبانية. حازت عدة جوائز أدبية من سفارتي كندا وفرنسا والمركز الثقافي الفرنسي، لتركز بعدها في كتابة أدب الإثارة والتشويق.

صدر لها: رواية «قضية ست الحسن» (تحقيقات نوح الألفي - ١، ٢٠١٨)، والرواية القصيرة «ثلاثة عشر» (٢٠٢٠)، ورواية «روك أند رول» (٢٠٢٠)، ورواية «صديقي السيكوباتي» (٢٠٢١)، و«قضية لوز مُر» (تحقيقات نوح الألفي - ٢، ٢٠٢٢).



## للتواصل مع الكاتبة

Email: [mirnaelmahdy.1@gmail.com](mailto:mirnaelmahdy.1@gmail.com)

Facebook: [www.facebook.com/](http://www.facebook.com/)

[MirnaElMahdyWriter](http://www.facebook.com/MirnaElMahdyWriter)

Twitter: [@Mirna\\_El\\_Mahdy](https://twitter.com/Mirna_El_Mahdy)

Instagram: [@mirnaelmahdy](https://www.instagram.com/mirnaelmahdy)

ميرنا المهدي Goodreads:

صور هذا الكود بكاميرا هاتفك

للتواصل مباشرة مع الكاتبة:





جميع الحقوق محفوظة لدا: مكتبة ضاد، الإلكترونية. ©

تمّ تجهيز هذه النسخة بواسطة:

أشرف غالب.

تأكد من أنك تقرأ هذه الرواية من قناة ضاد الرسمية على  
تطبيق تيليجرام:

تمّ تجهيز هذا الكتاب الإلكتروني  
بواسطة:

**مكتبة ضاد**  
t.me/twinkling4

لجميع الكتب، المجانية والمدفوعة،  
وكل ما تشتهيهِ قريحتك الثقافية.





تُذبح طالبة بطريقة بشعة، وتُترك في سيارتها بميدان طلعت  
حرب، صاحب جريدة شهير يتحول إلى رماد، والعجيب أن  
النيران لم تمس شيئاً آخر في شقته، وجملة من مجهول مكتوبة  
على الحائط وراءه: «الله أكبر»، زوجة منتج شهير تُلقى من  
شرحتها ليلة رأس السنة، وأخيراً، تسمم ١٥ من أطفال الشوارع  
في ظروف غامضة.

ضابط عادي كان سيقف عاجزاً أمام ملايسات هذه القضايا، لكن  
نوح الألفي - الذي تعرّض لحادث جعله يبصر غوامض لا يراها  
غيره - وزميله قطز، ليسا ضابطين عاديين. معهما تبدأ الكتاب  
الأول من سلسلة «تحقيقات نوح الألفي».

